الباب الثالث

التحليل النفسي في رواية الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران

أ. ملخص رواية الأجنحة المتكسّرة

تروي هذه الرواية قصة شاب يُدعى جبران، كان يميل إلى العزلة والتأمل في الحياة، ثم تعرّف إلى فارس كرامة، صديق والده، وهو رجل ثريّ وحكيم يحظى باحترام المجتمع. وكان لفارس ابنة وحيدة تُدعى سلمى كرامة، وهي فتاة جميلة، رقيقة، ذكية، وتمتلك قلبًا مليئًا بالمحبة. وقد أحدث اللقاء الأول بين جبران وسلمى تقاربًا عاطفيًا عميقًا، حيث كانا يقضيان أوقاتًا طويلة معًا يتحدثان عن الحياة، والحب، والحرية، وأحلام المستقبل. ومن خلال تلك العلاقة، نشأ بينهما حبّ صادق وعميق، حبّ قائم على انسجام الأرواح لا على الانجذاب الجسدي فحسب.

لكن سعادتهما لم تدم طويلًا، إذ اصطدمت روعة حبهما بالسلطة والتقاليد والمصالح الاجتماعية. فقد أراد أحد أساقفة الكنيسة، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير، استغلال ثروة فارس كرامة لمصلحة عائلته. ولذلك أُجبرت سلمى على الزواج من ابن أخ الأسقف، منصور بك غالب. وكان منصور بك معروفًا بطمعه وأنانيته وحبه للترف واللهو. ولم يكن هذا الزواج قائمًا على الحب، بل على الطموح والمصلحة والسلطة. ولم تكن لسلمى حرية اختيار طريق حياتها، لأنها كامرأة كانت مضطرة للخضوع لقرارات العائلة وقوانين المجتمع.

بعد زواجها، تغيّرت حياة سلمى وأصبحت مليئة بالمعاناة. فقد عاشت في بيتٍ يفتقر إلى الدفء والحب. وكان منصور بك نادرًا ما يهتم بمشاعر زوجته، إذ كان يقضي معظم وقته مع نساء أخريات لإشباع شهواته. وفي المقابل، حاولت سلمى أن تؤدي دورها كزوجة بكل صبر وتحمل، فقبلت ذلك الواقع المرير رغم الألم الذي كان يمزق قلبها باستمرار. أما جبران، فقد ظل يحبها سرًا، وكان يلتقي بها أحيانًا في أماكن خفية. وفي تلك اللقاءات، كانا يتبادلان الدعم ويبوح كلٌّ منهما بالأحزان التي يخفيها في داخله.

UIN IMAM BONJOL PADANG

لم تتحول علاقتهما أبدًا إلى علاقة محرّمة، لأن الحب الذي جمع بينهما صُوِّر على أنه حبّ طاهر وروحي. فقد كان جبران يحترم سلمى ويدرك أنها عالقة في وضع لا تملك القدرة على مقاومته. ومع ذلك، ظلّ كلاهما يعاني ألمًا نفسيًا عميقًا بسبب اضطرارهما إلى كتمان حبّ لا تسمح الظروف بتحقيقه أو جمعهما معًا.

وفي خضم حياتها الزوجية المؤلمة، حملت سلمى أخيرًا. وقد شكّل هذا الحمل أملًا جديدًا، خاصة بالنسبة لمنصور بك الذي كان يرغب في وريث يحمل اسمه ويحافظ على ثروته. أما بالنسبة لسلمى، فقد كان الطفل نورًا صغيرًا وسط ظلام الحياة التي تعيشها. لكن تلك السعادة لم تدم طويلًا. فعندما حان وقت الولادة، تعرضت سلمى لحالة صحية حرجة للغاية. وبعد صراع بين الحياة والموت، تمكنت من إنجاب طفل ذكر، إلا أنها توفيت بعد الولادة بوقت قصير. ولم يعش الطفل طويلًا، إذ سرعان ما لحق بوالدته بالموت.

كان موت سلمى النهاية المأساوية لقصة حبهما. فقد خسر جبران المرأة التي أحبها أكثر من أي شيء، بينما انتهت حياة سلمى بعد أن امتلأت بالمعاناة والتضحية والقيود التي فُرضت عليها كامرأة في مجتمع أبوي. ويرمز عنوان الرواية الأجنحة المتكسّرة إلى حياة سلمى وحبهما الذي تحطم قبل أن يتمكن من التحليق بحرية. فالأجنحة التي كان من المفترض أن تحمل السعادة قد تكسّرت بسبب ضغوط التقاليد والسلطة والظلم الاجتماعي.

من خلال هذا العمل، لا يقدّم جبران خليل جبران مجرد قصة حب حزينة، بل يوجّه أيضًا نقدًا اجتماعيًا لممارسات الزواج القسري، ولسوء استخدام السلطة الدينية، ولمكانة المرأة التي كثيرًا ما تُحرم من حقها في اختيار حياتها وحبها. وتُظهر الرواية أن الحب الحقيقي لا يستطيع دائمًا مقاومة البُنى الاجتماعية الظالمة. إضافة إلى ذلك، يعكس هذا العمل الفكر الإنساني لدى جبران، من خلال تناوله لقضايا الحرية، ونقاء الحب، ومعاناة الإنسان، والعلاقة بين الحياة والموت.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ب. بنية شخصية البطل في رواية الأجنحة المتكسّرة لجبران خليل جبران

تتكوّن الشخصية من ثلاثة أنظمة أو جوانب، وهي: الهو (Id) بوصفه الجانب البيولوجي، والأنا (Ego) بوصفه الجانب النفسي، والأنا الأعلى (Superego) بوصفه الجانب الاجتماعي. ويعدّ السلوك الإنساني نتيجةً للتفاعل والتعاون بين هذه الجوانب الثلاثة. وقد قسّم فرويد النفس الإنسانية إلى ثلاثة عناصر، هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى. فالهو يقع في منطقة اللاوعي، ويعدّ مستودع الدوافع ومصدر الطاقة النفسية. أما الأنا فيقع بين الوعي واللاوعي، وتتمثل مهمته في التوسط والتوفيق بين مطالب الدوافع والقيود التي يفرضها الأنا الأعلى. في حين يقع الأنا الأعلى جزئيًا في الوعي وجزئيًا في اللاوعي، وتتمثل وظيفته في المراقبة ومنع الإشباع الكامل للدوافع، وهو نتيجة للتربية وعملية التماهي مع الوالدين.

أ) الهو(Id)

يعدّ الهو دافعًا غريزيًا في داخل الإنسان يعمل وفق مبدأ اللذة (Pleasure Principle) أي الرغبة في الحصول على السعادة وتجنب المعاناة. وفي رواية الأجنحة المتكسّرة، تظهر شخصية الهو لدى جبران من خلال اندفاعه العاطفي نحو سلمى، ورغبته في الحفاظ على سعادته وقربه منها، رغم العوائق الاجتماعية وحقائق الحياة التي تحول بينهما. كما تكشف الصراعات النفسية التي تعيشها الشخصيات كيف أن الدوافع الغريزية كثيرًا ما تتعارض مع الواقع الذي يقيّد الإنسان. ويتضح ذلك في البيانات التي تُظهر أشكال حضور الهو في هذه الدراسة، وهي كما يأتي:

البيانات ١

"عندما فتح الحبُّ عيني بأشعته السحرية، وملس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية. وكانت سلمى كرامة املرأة الأولى التي أيقظت روحي بمحاسنها[٣٨] "

[٣٨] جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥)، ص.٧

يحدث هذا المقتطف في بداية لقاء جبران مع سلمى في منزلها. ففي ذلك الوقت جاء جبران في زيارة، ولأول مرة يرى سلمى كرامة بشكل مباشر. وقد شكّل هذا اللقاء بداية نمو مشاعر الحب في داخله. وتم تصوير أجواء اللقاء بصورة عميقة جعلت حضور سلمى يترك أثرًا عاطفيًا قويًا لديه.

البيانات ٢

"شاعرا بوجود أيد خفية تجذبني إليها، فكل زيارة كانت تبني لي معنى جديدا من معاني جمالها وسرا علويا من أسرار روحها، حتى أصبحت أمام عيني كتابا أقرأ سطوره وأستظهر آياته وأترنم بنغمته، ولا أستطيع الوصول إلى نهايته".

تُظهر هذه العبارة أن مشاعر جبران ظهرت بشكل تلقائي وقوي، دون أن تخضع لمنطق أو تفكير عقلاني. فهو يصف نفسه وكأنه "يُسحب بأيدٍ خفية" نحو سلمى، مما يدل على أنه فقد السيطرة على مشاعره. كما أن استخدام اللغة المجازية مثل "الأيدي الخفية" و"أنا أُسحَب إليها" يعكس أن الحب هنا نابع من دافع داخلي قوي ومن أعماق اللاوعي. ولم يكن جبران يفكر فيما إذا كان هذا الشعور صحيحًا أو مناسبًا أو منطقيًا، بل كان فقط يتبع الانجذاب والإعجاب الذي يزداد بداخله. ويتوافق هذا مع مفهوم الهو (Id)، أي الجزء من الشخصية الذي يعمل وفق الدوافع الغريزية ومبدأ اللذة، دون مراعاة الواقع أو القواعد الاجتماعية.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٣

"كلمة واحدة لفظتها سلمى كرامة في تلك الليلة الهادئة أوقفتني بين ماضيَّومستقبلي وقوف سفينة بين لجة البحار وطبقات الفضاء .كلمة واحدة معنوية قد أيقظتني من سُبات الحداثة والخلوّ، وسارت بأيامي على طريق جديدة إلى مسارح الحب حيث الحياة والموت. (ص. ٣٤) "

تشير هذه العبارة إلى هيمنة الهو (Id) لدى جبران، إذ إن مشاعره تجاه سلمى ظهرت بصورة انفعالية دون مراعاة الواقع القائم. فبعد علمه بأن سلمى ستُجبر على

الزواج نتيجة ضغط السلطة، ظل جبران منغمسًا في أجواء اللقاء الليلي، خاصة بعد أن عبّرت سلمى عن أن الحب لن يزول رغم الظلام والتهديد. كما أن التعبير الداخلي لجبران بعد ذلك يعكس أنه كان يركز على الأمل ومشاعره تجاه سلمى أكثر من إدراكه للواقع الذي يمنع ارتباطهما بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية. ولم تقتصر كلمات سلمى على تغيير حالته النفسية فحسب، بل أثارت لديه رغبة عاطفية عميقة جعلته يشعر بالاضطراب بين الماضي والمستقبل، وكأنه "ينجرف إلى طريق جديد نحو مسارح الحب، حيث الحياة والموت. وهذا يدل على أنه كان مدفوعًا بدوافع لاواعية تُعلي من الإشباع العاطفي والرغبة في البقاء قريبًا من سلمى.

البيانات ٤

"فقلت بسرعة وقد نسيت ماضي حياتي ونسيت كياني ونسيت كل شيء، ولم أعد أعرف سوى سلمى ولا أشعر بغير وجودها، وأنا قد سمعتك يا سلمى؛ سمعت نغمة عظيمة محيية جارحة تتموج لها دقائق الفضاء، وتهتزّ بارتعاشها أسس الأرض (ص. ٣٦)

تُصنَّف هذه العبارة ضمن هيمنة الهو(Id) ، رغم أن جبران كان يدرك في الواقع أن سلمى ستُزوَّج قسرًا وأن استمرار علاقتهما يكاد يكون مستحيلًا. ومن منظور نقدي، تكشف هذه الحالة عن صراع بين الوعي العقلاني (الأنا) والدوافع العاطفية (الهو). إلا أن الغلبة في هذه اللحظة كانت للهو، لأن جبران اختار أن "يندمج" في مشاعره تجاه سلمى. وتُظهر عبارة "أنا لا أعرف أحدًا غير سلمى" شكلًا من أشكال تجاهل الواقع وإمكانية المستقبل الذي لا يخدم استمرار العلاقة بينهما. وبعبارة أخرى، ورغم إدراك جبران منطقيًا أن حبهما محكوم بالقيود الاجتماعية وأنه غير قابل للتحقق بالكامل، فإنه بقي غارقًا في التجربة العاطفية التي تمنحه إشباعًا نفسيًا داخليًا.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٥

"فأخذت تلك اليد براحتي، نظير متعبد يتبرك بلثم المذبح، ووضعتها على شفتي الملتهبتين وقبلتها قبلة طويلة عميقة خرساء تذيب بحرارتها كل ما في القلب البشري من الإحساس، وتنبه بعذوبتها كل ما في النفس الإلهية من الطهر .(ص. ٣٨) "

تُظهر هذه العبارة قوة مشاعر الحب لدى جبران بشكل واضح. ففي هذا المشهد، قام جبران بتقبيل يد سلمى مباشرة وبمشاعر عاطفية قوية دون أن يفكر في الظروف التي تحدث في الواقع، مثل خطة تزويجها القسري وصعوبة اجتماع علاقتهما. وقد اتبع في تلك اللحظة دافعه القلبي فقط. وهذا يدل على أن جبران كان أكثر خضوعًا للعاطفة وإحساس الحب من خضوعه للمنطق. فقد كان يرغب في الشعور بالقرب من سلمى بشكل مباشر بسبب قوة مشاعره تجاهها.

البيانات ٦

"مَرّ أسبوع وحب سلمى يجالسني في المساء منشدًا على مسمعي أغاني السعادة، وينبهني عند الفجر ليريني معاني الحياة وأسرار الكيان. حُبٌّ علوي لا يعرف الحسد لأنه غني، ولا يوجع الجسد لأنه في داخل الروح." (ص. ٤٦) "

تظهر هذه العبارة كنوع من الهروب العاطفي من موقف مليء بالضغط وخيبة الأمل. فبعد أن شهد جبران موافقة والد سلمى على زواجها القسري تحت ضغط الأب بولس غالب، رغم حزنه الشديد ودموعه، عاش جبران اضطرابًا نفسيًا عميقًا. ولم يتعامل مع الموقف من خلال التفكير العقلاني، بل غرق في مشاعره تجاه سلمى. فقد تخيّل أن الحب "يرافقه" و"يعزف له السعادة"، وهو ما يدل على أنه كان يبحث عن راحة نفسية لتخفيف الألم وخيبة الأمل الناتجة عن واقع لا يخدمه. وبذلك يظهر هيمنة الهو(Id) ، لأن جبران اختار الانغماس في الخيال والمشاعر السعيدة التي يخلقها الحب، بدلًا من مواجهة الحقيقة المؤلمة التي تفيد بأن سلمى تُبعَد عنه بسبب زواج مفروض بالقوة.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٧

"فأخذتُ يدها المثلجة بيدي الملتهبة، وقبّلتُ أصابعها بأجفاني وشفتيّ، ولما حاولتُ تعزيتها بالكلام وجدتُ أنني أحقّ منها بالتعزية والشفقة، فبقيتُ صامتًا حائرًا متأملًا،أشعر بتلاعب الدقائق بعواطفي، وأصغي لأنين قلبي في داخلي، خائفًا من نفسي على نفسي .(ص. ٥٨) "

في تلك الليلة، كان جبران وسلما في أجواء مشحونة بالضغط والحزن بعد أن أظهرت سلمى حالة عاطفية شديدة الضعف نتيجة ظروف الزواج القسري التي أفقدتها الأمل. فقد بدت صامتة، مطأطئة الرأس، وجسدها كأنه بلا قوة، وكأن أعباء الحياة كلها قد انهارت في صمت. وعند رؤية هذا المشهد، استجاب جبران مباشرة بشكل عاطفي دون تفكير مسبق، فشبّه سلمى بغصنٍ كسره العاصف، وانجرف بشدة نحو هذا الحزن، ولم يستطع سوى التعبير عن شعور عميق بالشفقة. ومن منظور التحليل النفسي لفرويد، فإن هذا التصرف يعكس هيمنة الهو(Id) ، لأنه نابع من اندفاع عاطفي تلقائي دون المرور بعملية تفكير منطقي. فالقُبلة لم تكن فعلًا مخططًا له أو مدروسًا بوعي، بل كانت تعبيرًا مباشرًا عن حاجة داخلية تهدف إلى التخفيف من الألم، وتفريغ مشاعر الحب والتعاطف تجاه سلمى. ولم يأخذ جبران في اعتباره القيم الاجتماعية أو السياق أو العواقب، بل اتبع فقط دافع الشعور الذي كان يبحث عن منفذ عاطفي

البيانات ٨

"ثم نتعانق فنذوب شغفًا وهيامًا .ثم تقبّل سلمى مفرق شعري بطهر وانعطاف، فتملأ قلبي شعاعًا، وأقبّل أطرافأصابعها البيضاء، فتغمضعينيها، وتلوي عنقها العاجي، وتتورد وجنتاها باحمرار لطيف يشابه الأشعة الأولى التي يلقيها الفجر على جباه الروابي. (ص. ٨٠)"

تُصنَّف هذه العبارة ضمن الهو (Id) لدى جبران، لأنها تُظهر اندفاعًا عاطفيًا قويًا ظهر بشكل مفاجئ. ففي تلك اللحظة، كان جبران وسلمى منغمسين في عناقٍ مشحون بالشوق والحب العميق، دون أن يأخذا بعين الاعتبار الواقع أو القيود التي تعيق

ارتباطهما. ويعدّ تقبيل أصابع سلمى شكلًا من تفريغ الانفعالات بشكل مباشر، ومحاولة للحفاظ على القرب واللذة النفسية في تلك اللحظة. وهذا يعكس عمل الهو الذي يتحرك بدافع الرغبة العاطفية في تحقيق السعادة الفورية، دون مراعاة القيم الأخلاقية أو الاعتبارات الواقعية.

البيانات ٩

"فصرخت قائلا : ماذا تقولين يا سلمى ؟! وأية قوة تستطيع أن تفرقنا إلى الأبد؟!
فأجابت: إن القوة العمياء التي فرقتنا بالأمس ستفرقنا اليوم. القوة الخرساء الت تتخذ الشرائع البشرية ترجمانًا عنها قد بنت بأيدي عبيد الحياة حاجزًا منيعًا بيني وبينك"(ص. ٨٥) "

"عندما كان جبران ينتظر سلمى في المعبد وهو يشعر بالهدوء والأمل في لقائها كالمعتاد، تغيّر الموقف عندما حضرت سلمى وأخبرته بأنهما سيفترقان إلى الأبد بسبب ظروف لا يمكنهما مقاومتها. وجاء رد فعل جبران ضمن إطار الهو(Id) ، لأنه ظهر بشكل سريع وانفعالي. فقد رفض فورًا الواقع الذي أخبرته به سلمى دون تفكير عميق. ولم يظهر منه سوى الصدمة وعدم التصديق والرغبة القوية في البقاء معها. وهكذا كان جبران يتبع مشاعره أكثر من تقبّل الحقيقة، مما يدل على أن الذي كان يسيطر عليه في تلك اللحظة هو دافع داخلي يسعى إلى الحفاظ على السعادة ورفض الحزن."

UIN IMAM BONJOL
PADANG

البيانات ١٠

"قومى يا سلمى نذهب من هذا المعبد الصغير إلى هيكل الله الأعظم. هلمي ترحل من هذه البلاد وما فيها من العبودية والغباوة إلى بلاد بعيدة... تعالي تسرع إلى الشاطئ مستترين بوشاح الليل، فنعتني سفينة تقلنا إلى ما وراء البحار (ص. ٨٨) "

في هذا المشهد، كان جبران يعيش حالة اضطراب نفسي شديد بعد أن أعلنت سلمى أنهما سيفترقان بسبب ظروف لا يمكن تجاوزها. وقد دفعه رفضه للواقع إلى الرغبة في ‘‘الهروب’’ من الموقف المؤلم عبر اقتراح مغادرة المكان مع سلمى إلى أي مكان بعيد، دون التفكير في المخاطر أو العواقب. وهذا يعكس هيمنة الهو(Id) ، لأن جبران كان

مدفوعًا برغبة مباشرة في التخلص من الألم والبحث عن السعادة مع سلمى بأسرع طريقة ممكنة، دون اعتبار للمنطق أو للواقع أو للنتائج المستقبلية

البيانات ١١

"ولم تجدمنفذًا تنصرفمنه إلى عالم المعرفة حتى دخل إليه الحب وفتح أبوابه وأنار زواياه، فالحب قد أعتق لساني فتكلمتُ، ومزَّق أجفاني فبكيتُ، وفتح حنجرتي فتنهدتُ وشكوتُ (ص. ١١). "

سيطر حب جبران القوي على مشاعره حتى لم يعد قادرًا على كبح الانفعالات التي بداخله. فقد بدأ يتحدث ويبكي ويتأوه ويشتكي متبعًا اندفاع مشاعره بشكل مباشر. ويعدّ هذا السلوك جزءًا من بنية الهو(Id) ، لأن تصرفات جبران هنا نابعة من العاطفة والرغبة الداخلية التلقائية دون وجود ضبط ذاتي أو تفكير عقلاني. وفي نظرية التحليل النفسي، يمثل الهو الجزء من الشخصية الذي يحتوي على الدوافع والرغبات والانفعالات الأساسية التي تسعى إلى الإشباع الفوري. وبالتالي، فإن هذا المقطع يُظهر أن الحب جعل جبران يعبّر عن مشاعره بشكل مباشر وعاطفي وفقًا لنداء الداخل.

البيانات ١٢

"ولا نظرت مساءً إلى الغيوم المتلوّنة بأشعة الشمس إلا شعرت بانقباض متلف ينمو لجهلي معاني الانقباض، ولا سمعت تغريدة الشحرور أو أغنية الغدير إلا وقفت حزينًا لجهلي موحيات الحزن. (ص. ١٢) "

كان جبران مُسيطرًا عليه شعورٌ بالحزن يظهر بشكل تلقائي عندما يسمع صوت الطيور أو جريان النهر. فقد كانت هذه الأصوات في محيطه تُثير لديه انفعالات عاطفية مباشرة دون أن يستطيع التحكم بها. ويُصنَّف هذا السلوك ضمن بنية الهو(Id) ، لأن جبران كان يتبع الدوافع الانفعالية الكامنة في داخله. ووفقًا لنظرية التحليل النفسي، يعدّ الهو الجزء من الشخصية المرتبط بالمشاعر والدوافع الأساسية التي تظهر بشكل تلقائي. وبناءً على ذلك، فإن الحزن الذي كان يظهر فور سماعه لأصوات الطبيعة يعكس عمل العاطفة لديه في مستوى عميق، بعيدًا عن أي ضبط عقلاني أو تفكير منطقي

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ١٣

"فتأثرت لكلامه، وشعرت بجاذب خفي يدنيني إليه بطمأنينة يدنيني إليه بطمأنينة، مثلما تقود الغريزة العصفور إلى وكره قبيل مجيء العاصفة(ص.١٦) "

يمكن ملاحظة في هذه العبارة أن جبران يتأثر بدافع شعوري يظهر بشكل تلقائي دون الكثير من الاعتبارات المنطقية. ففي النص، يذكر أنه ''تأثر'' وشعر بـ''قوة جذب خفية'' جعلته ينجذب ويشعر بالهدوء. وهذا يدل على أن الذي يعمل هنا هو المشاعر الأساسية مثل الانجذاب، والراحة، والإحساس الداخلي، وليس التفكير العقلاني. وفي نظرية التحليل النفسي، يعدّ الهو (Id) الجزء من الشخصية الذي يتحرك وفق الدوافع الشعورية والرغبات التي تظهر بشكل مباشر. ولذلك، تعكس هذه العبارة كيفية اتباع جبران لمشاعره الداخلية القوية دون كثير من السيطرة العقلانية أو التفكير الواعي.

البيانات ١٤

"وبعد أيام وقد مللت الوحدة، وتعبت أجفاني من النظر إلى أوجه الكتب العابسة علوت مركبة طالبًا منزل فارس كرامة) . (ص.٢٠) "

يمكن ملاحظة في هذه العبارة أن جبران يقول إنه يشعر بالملل من العزلة والتعب من قراءة الكتب. وهذا يعكس مشاعر أساسية مثل الضجر والملل والرغبة في البحث عن الراحة أو تغيير الجو. وقد ظهرت هذه المشاعر بشكل تلقائي من داخله دون أن يخضعها لتفكير عقلاني أو تحكم واعٍ. وفي نظرية التحليل النفسي، يعدّ الهو (Id) الجزء من الشخصية الذي يحتوي على الدوافع والانفعالات الأساسية التي تسعى إلى الإشباع الفوري. ولذلك، فإن هذا المقطع يعكس سيطرة جبران على مشاعر الملل والإرهاق النفسي التي ظهرت لديه بشكل تلقائي ومباشر.

البيانات ١٥

"لا أدري، ولكنني أعلم أنني شعرت بعاطفة لم أشعر بها قبل تلك الساعة، عاطفة جديدة تمايلت حول قلبي بهدوء يشابه رفرفة الروح . (ص.٢٣) "

تشير هذه العبارة إلى ظهور شعور جديد قوي وتلقائي في داخل جبران. فهو يعترف بأنه لا يفهم تمامًا ما الذي يشعر به، لكنه يدرك أن هناك إحساسًا يتردد بلطف في داخله. وهذا يدل على أن هذا الشعور قد نشأ بشكل طبيعي من دافع داخلي، وليس نتيجة تفكير منطقي أو اعتبارات عقلانية. لذلك، تعكس هذه العبارة أن جبران كان تحت تأثير مشاعر الحب أو الانجذاب العاطفي التي ظهرت بعمق من داخله بشكل تلقائي.

البيانات ١٦

"أرفع رأسك لأرى عينيك يا حبي. افتح شفتيك لأسمع صوتك، تكلم، أخبرني، حدثني، هل تذكرني بعد أن تفرق العاصفة سفينتي أيامنا؟)(ص.٥٢) "

تُظهر عبارة جبران هذه اندفاعًا عاطفيًا قويًا ورغبةً ملحّة في رؤية سلمى وسماعها والشعور بوجودها. فهو لا يكبح مشاعره، بل يعبّر مباشرة عن شوقه وقلقه من احتمال الفراق. كما أن سؤاله "هل ستتذكرينني؟" يعكس خوفًا من فقدان الحب وحاجةً سريعة إلى الاطمئنان العاطفي. وكل ذلك يدل على مشاعر تلقائية قوية لا تمر عبر التفكير العقلاني أو التروي. وبذلك، تعكس هذه الحالة سمات الهو(Id) ، لأنه يرتبط بالدوافع العاطفية الملحّة مثل الحب والاشتياق والرغبة في الإشباع الفوري للمشاعر دون اعتبار للمنطق أو الواقع.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ١٧

"سأكون لك يا سلمى مثلما تريدينني أن أكون. أريدك أن تحبيني، أريدك أن تحبيني إلى نهاية أيامي، أريدك أن تحبيني مثلما يحب الشاعر أفكاره المحزنة. (ص.٥٣) "

يعبّر جبران عن رغبة قوية جدًا في أن تحبه سلمى وأن يكون لها بالكامل. كما أن التكرار في عباراته المليئة بالعاطفة يدل على اندفاع الحب بشكل تلقائي دون تفكير عقلاني، مما يعكس هيمنة الهو (Id) المرتبط بالرغبات والمشاعر القوية.

البيانات ١٨

"ولما توارى حفار القبور وراء أشجار السرو، خانني الصبر والجلد فارتتميت على قبر سلمى أبكيها وأرثيها. (ص.١٠٢) "

بعد أن كبت مشاعره لفترة طويلة، بدأ الأنا (Ego) في النهاية يمنح مساحة للحزن. فلم يعد جبران قادرًا على احتواء ألمه بعد دفن سلمى. وتشير عبارة «انهارت صبري» إلى فقدان السيطرة على الانفعال. ثم انهار بالبكاء والنحيب فوق قبر سلمى دون تفكير أو محاولة لضبط النفس بهدوء. وهذا يعكس تدفقًا عاطفيًا قويًا ومفاجئًا، وهو ما يُعد من خصائص الهو (Id) وفق نظرية سيغموند فرويد. ورغم أن جبران كان مدركًا لواقع وفاة سلمى، فإن هذا الإدراك لم يكن كافيًا لكبح موجة الحزن الشديد التي اجتاحت مشاعره. لذلك، فإن دور الأنا هنا اقتصر على إدراك الواقع، بينما ظلت الدوافع العاطفية للهو هي المسيطرة على السلوك.

ب) الأنا(Ego)

يعدّ الأنا جزءًا من بنية الشخصية يعمل وفق مبدأ الواقع، أي أنه يقوم بالتوسط بين الدوافع والرغبات وبين الظروف الواقعية، مع مراعاة النتائج قبل اتخاذ أي سلوك. وفي شخصية جبران في رواية "الأجنحة المتكسّرة"، يظهر دور الأنا عندما يحاول التحكم في مشاعره تجاه سلمى ويقبل حقيقة أن علاقتهما مقيدة بالتقاليد والسلطة الاجتماعية. وعلى الرغم من رغبته الداخلية في الاحتفاظ بسلمى، فإنه لا يتصرف بشكل اندفاعي، بل يختار الهدوء والتكيف مع الواقع. وهذا السلوك يعكس وظيفة الأنا بوصفه وسيطًا بين الرغبات الشخصية ومتطلبات الحياة الواقعية التي يجب التعامل معها. وكما يتضح من البيانات التي تُظهر أشكال الأنا في هذه الدراسة، فهي كما يأتي:

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ١

"كنت حائرًا بين تأثيرات الطبيعة وموحيات الكتب والأسفار عندما سمعت الحبَّ يهمس بشفتي سلمى في آذان نفسي، وكانت حياتي خالية مُقْفِرة باردة شبيهة بسبات آدم في الفردوسعندما رأيت سلمى منتصبة أمامي كعمود النور. (ص.٨) "

تتعلق هذه العبارة بالحالة الأولى لجبران عند ذهابه إلى بيروت لطلب العلم، حيث كان يقف عند مفترق طرق بين متطلبات الدراسة التي تعتمد على العقلانية وبين الدوافع العاطفية التي تنبع من ''تأثير الطبيعة''. وقد تعزز هذا التشتت النفسي عندما التقى بسلمى في منزل صديق والده فارس، وبدأ يشعر للمرة الأولى بالحب، مما أدى إلى ظهور صراع داخلي بين العقل والعاطفة. وتعكس هذه العبارة بداية تشكّل الصراع النفسي داخل جبران، أي التوتر بين متطلبات الدراسة في بيروت وبين الاضطراب العاطفي الناتج عن لقائه بسلمى. وهذا يشير إلى وظيفة الأنا(Ego) ، بوصفه الجزء الذي يعمل وفق مبدأ الواقع، حيث يتوسط بين الدوافع العاطفية (الهو) ومتطلبات الواقع. فالأنا لا يرفض المشاعر بشكل مباشر، ولا يسمح لها بالسيطرة الكاملة، بل يجعل الفرد في حالة من التوازن والتفكير والتردد في اتخاذ القرار.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٢

"فهل فهمتَ روحي روح سلمى في عشية النهار فجعلني التفاهم أراها أجمل امرأة أمام الشمس؟ أم هي سكرة الشبيبة التي تجعلنا نتخيّ لرسوماً وأشباحا لا حقيقة لها؟(ص.٢٣)"

تُصوّر هذه العبارة جبران وهو يعيش حالة من الحيرة تجاه مشاعره نحو سلمى. فقد كان يتساءل في داخله عمّا إذا كان هذا الحب نابعًا من فهمه الحقيقي لروح سلمى، أم أنه مجرد تأثير لمرحلة الشباب التي تجعل الإنسان أحيانًا يبالغ في تقدير أشياء قد لا تكون واقعية تمامًا. ويُظهر هذا التساؤل أن جبران لم يقبل مشاعره بصورة مباشرة، بل حاول إعادة تقييم ما يشعر به وما يراه، ليتأكد مما إذا كان حقيقيًا أم مجرد اندفاع عاطفي مبالغ فيه. ويعكس هذا السلوك عمل الأنا(Ego) ، لأن الأنا يدفع الإنسان إلى التوقف قليلًا

والتفكير ومحاولة فهم الواقع قبل إصدار الأحكام أو اتخاذ القرارات. وبذلك، تكشف هذه العبارة أن جبران كان يحاول تحقيق التوازن بين مشاعر الحب القوية التي يحملها في داخله وبين التفكير العقلاني الذي يسعى إلى التحقق من حقيقة تلك المشاعر.

البيانات ٣

"ولكن أليس السكوت اصعب من الكلام؟ وهل يمنعني التهيب عن اظهار خيال من اخيلة سلمى بالالفاظ الواهية اذا كنت لا استطيع ان ارسم حقيقتها بخطوط من الذهب؟(ص. ٢٦)"

تُصوّر هذه العبارة جبران وهو يعيش حالة من التردد بين الصمت أو التصريح بمشاعره تجاه سلمى. فقد كان يشعر بأن الصمت أمر ثقيل، لكن الكلام أيضًا ليس سهلًا، لأنه يخشى أن تعجز كلماته عن التعبير بدقة عن جمال سلمى وحقيقتها. وهنا يتضح أنه لا يتصرف بشكل اندفاعي، بل يوازن بين الخيارات ونتائجها. ويعكس هذا التردد عمل الأنا(Ego) ، إذ يحاول جبران البحث عن الطريقة الأنسب للتعبير عن حبه. فهو لا يفرّغ مشاعره مباشرة كما يفعل الهو(Id) ، ولا يكبتها تمامًا، بل يفكر في شكل التعبير الذي يراه "مناسبًا" و"صحيحًا"، رغم شعوره بأن الكلمات تظل عاجزة عن وصف سلمى كما ينبغي. وتُظهر هذه العبارة دور الأنا في محاولة ضبط الانفعالات والبحث عن أسلوب واقعي للتعبير عن المشاعر، حتى وإن ظل ذلك مصحوبًا بالتردد والمثالية في نظرته إلى سلمى.

البيانات ٤

"وجدت لساني منعقدًا وشفتي جامدتين، فاستأنست بالسكوت .لأن الشعور العميق غير المتناهي يفقد شيئًا من خاصته المعنوية عندما يتجسم بالألفاظ المحدودة. (ص.٢٩) "

في هذا المقتطف، يقول جبران إنه اختار الصمت لأن المشاعر العميقة جدًا قد تفقد معناها إذا عُبِّر عنها بالكلمات، وهذا يعكس عمل الأنا(Ego) . فالأنا هنا لا يكتفي بكبح الاندفاع العاطفي، بل يقوم أيضًا بتقييمٍ يرى من خلاله أن اللغة عاجزة عن تمثيل

UIN IMAM BONJOL PADANG

عمق مشاعره الحقيقية. ولذلك، فإن اختياره للصمت يعدّ شكلًا من أشكال التحكم الواعي بالنفس، إذ لم ينجرف جبران وراء العاطفة وحدها كما يفعل الهو(Id) ، بل حاول توجيه طريقة التعبير عن مشاعره بما يتناسب مع معناها العميق في داخله. وبذلك، يؤدي الأنا دور المنظّم الذي يعالج المشاعر ويحوّلها إلى موقف هادئ وصامت يراه أكثر صدقًا ومعنى من التعبير المحدود بالكلمات.

البيانات ٥

"أليس الأفضل أن نبقى ههنا يا سلمى حتى يطلع القمر وينير الحديقة؟ أما الآن فالظلام يحجب الأشجار والأزهار، فلا تستطيع أن نرى شيئا. (ص.٣٣) "

في ذلك الوقت، كان جبران وسلمى يجلسان في الحديقة بعد تناول العشاء. وقد بدا الجو هادئًا، لكن في الحقيقة كان هناك توتر خفي، لأن والد سلمى ذهب للقاء الكاهن بولس غالب من أجل طلب يد سلمى لمنصور بك، مما شكّل تهديدًا لعلاقتهما. وفي هذا الموقف، طلب جبران من سلمى أن تبقى معه في الحديقة حتى يطلع القمر ويصبح المكان أكثر نورًا. ويُظهر هذا التصرف عمل الأنا (Ego) في نظرية سيغموند فرويد، لأن جبران لم يتبع مشاعره بشكل اندفاعي فقط، بل أخذ الواقع بعين الاعتبار. فهو لم يتصرف بذعر أو انفعال شديد، وإنما اختار موقفًا أكثر هدوءًا عبر إطالة لحظة بقائه مع سلمى والتكيف مع الظروف القائمة. ولذلك، فإن هذا القرار يعكس عملية تفكير عقلاني ومحاولة لمواجهة موقف مليء بالغموض وعدم اليقين بطريقة متزنة.

البيانات ٦

"فبقيت صامتا حائرًا متأملا ، شاعرًا بتلاعب الدقائق بعواطفي، مصغيًا لأنة قلبي في داخلي، خائفا من نفسي على نفسي. (ص.٥٨)"

تُظهر هذه العبارة الحالة النفسية المضطربة لجبران، إذ كان يعيش قلقًا شديدًا وتقلّبًا عاطفيًا قويًا. فقد اختار الصمت والتأمل، لكن داخله كان يمتلئ بصراع نفسي عنيف جعله يشعر بالخوف من نفسه. ويكشف هذا الموقف عن عمل الأنا(Ego) ، لكنه يعمل

تحت ضغط قوي من الهو .(Id) فالأنا يظهر من خلال صمته وتأمله وعدم تصرفه بشكل اندفاعي، مما يدل على وجود محاولة لضبط النفس والتحكم بالمشاعر. إلا أن الدوافع العاطفية الصادرة من الهو كانت شديدة الهيمنة، حتى جعلته يشعر بالحيرة والقلق وفقدان التوازن الداخلي. وبذلك، فإن هذه العبارة لا تعبّر عن الهو أو الأنا بشكل منفصل، بل تكشف الصراع بينهما، حيث يحاول الأنا السيطرة على الانفعالات القوية، لكنه لا ينجح تمامًا في تهدئة الاضطراب النفسي الذي يعيشه جبران.

البيانات ٧

"فذات يوم سمعت باعتلال فارس كرامة، فتركت وحدتي وذهبت لعيادته ماشيًا على ممر منفرد بني أشجار الزيتون املتلمعة أوراقها الرصاصية بقطرات املطر، متنحيًا عن الطريق العمومية حيث تزعج ضجة املركبات سكينة الفضاء(ص.٦٥) "

تُظهر هذه العبارة الحالة النفسية لجبران الذي كان يعيش الحزن والوحدة بعد أن فقد الأمل في حبه لسلمى. لكن عندما سمع أن والد سلمى مريض ويعيش في عزلة منذ زواجها، اختار أن يترك حزنه جانبًا ويذهب لزيارته. ويعكس هذا التصرف عمل الأنا (Ego)، لأن جبران لم يغرق بالكامل في مشاعره الشخصية وآلامه العاطفية كما يريد الهو (Id)، بل استطاع أن يأخذ الواقع واحتياجات الآخرين بعين الاعتبار. فرغم جراحه النفسية، اتخذ قرارًا عقلانيًا وإنسانيًا يقوم على التعاطف والاهتمام بوالد سلمى الذي يعيش وحيدًا. وبذلك، يظهر دور الأنا في قدرة جبران على ضبط مشاعره الخاصة وتوجيه سلوكه نحو تصرف أكثر معنى وملاءمة للواقع الذي يواجهه.

البيانات ٨

"خففي عنك يا سلمى وجففي دموعك، وأخفي هذه الكآبة الظاهرة على محياك، وقومي نجلس بجانب فراش والدك. (ص.٦٨) "

تُصوّر هذه العبارة مشهد زيارة جبران لوالد سلمى المريض، حيث وجد سلمى أيضًا في حالة ضعف شديد بسبب الضغوط النفسية التي تعيشها بعد زواجها من منصور بك.

وفي هذه المرحلة، كانت علاقتهما قد دخلت في وضع مليء بالصراع والمعاناة. وتُظهر كلمات جبران التي حاول من خلالها تهدئة سلمى عمل الأنا(Ego) ، لأنه سعى إلى التكيف مع الواقع المؤلم الذي يحيط بهما. فهو لم يفرّغ حزنه أو غضبه كما يدفعه الهو (Id)، بل اختار التصرف بهدوء، وحاول توجيه سلمى إلى التركيز على رعاية والدها والمحافظة على تماسكها النفسي رغم الضغوط العاطفية التي تعاني منها.

البيانات ٩

"فنجلس في بابه ساندين ظهرينا إلى جداره مرددين صدى ماضينا، مستقصين ماتي حاضرنا، خائفين مستقبلنا، ثم نتدرج إلى إظهار ما في أعماق نفسينا، فيشكو كل منا لوعته... ثم يصبر واحدنا الآخر. (ص.٧٩) "

في هذا المقطع، يُصوَّر جبران وسلمى وهما جالسان أمام المنزل، مستندين إلى الجدار، في أجواء صامتة مليئة بالتأمل. وكان كلاهما غارقًا في التفكير؛ يسترجعان الماضي، ويتأملان الحاضر، ويشعران بالخوف من المستقبل. ثم بدأ كلٌّ منهما يفتح قلبه للآخر، فيتبادلان الحديث عن معاناتهما ويحاولان مواساة بعضهما البعض. ويُظهر هذا الجزء ذروة القرب العاطفي بينهما، وفي الوقت نفسه عمق الحزن الناتج عن ضغوط الحياة والعلاقة التي لا يمكن أن تكتمل. ووفقًا لنظرية سيغموند فرويد، فإن هذا الموقف يعكس عمل الأنا(Ego) ، لأنهما لم ينجرفا وراء الانفعالات العاطفية الحادة كما يفعل الهو(Id) ، بل قاما بمعالجة مشاعرهما من خلال التأمل والحوار والدعم المتبادل. ويظهر الأنا هنا من خلال قدرتهما على مواجهة الواقع المؤلم بطريقة أكثر هدوءًا وعقلانية، مع محاولة تقوية أحدهما للآخر رغم المعاناة.

البيانات ١٠

"فسألتها قائلا: هل علم زوجك باجتماعاتنا فصرت تخشين غضبه وانتقامه؟ ... فقلت: إذا ماذا يصدك عن المجيء إلى هذا المعبد والجلوس بجانبي أمام هيبة الله وأشباح الأجيال ؟ هل مللت النظر إلى خفايا نفسي فطلبت روحك الوداع والتفريق ؟ . (ص.٨٦) "

في هذا المشهد، يتساءل جبران عن تغيّر موقف سلمى في المعبد، خاصة فيما يتعلق بالمسافة التي بدأت تظهر بينهما بسبب زواجها والضغوط التي يمارسها زوجها. وجاءت أسئلته بصيغة بلاغية تعكس قلقه من احتمال انتهاء القرب العاطفي الذي كان يجمعهما. ويُظهر هذا الجزء تصاعد الصراع النفسي عندما أصبحت علاقتهما تواجه حدودًا اجتماعية لا يمكن تجاوزها. ويعكس هذا الموقف عمل الأنا (Ego) في حالة غير مستقرة، لأن جبران ما يزال يحاول فهم الواقع الذي يقيّد علاقته بسلمى، لكنه في الوقت نفسه يظل خاضعًا لدوافع عاطفية قوية تتمثل في الخوف من فقدانها والرغبة في الحفاظ على قربه منها. وبذلك، فإن الأنا لا يزال يؤدي وظيفته، لكنه يتعرض لضغط شديد نتيجة التصادم بين الواقع الخارجي والمشاعر الشخصية.

البيانات ١١

"ولكن هذه المحاسن التي أذكرها الآن وأتشوق إليها تشوق الرضيع إلى ذراعي أمه – هي التي كانت تعذب روحي المسجونة في ظلمة الحداثة. (ص.١٢) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران يعيد النظر في تجاربه الماضية بطريقة أكثر هدوءًا ووعيًا. فهو لا ينجرف فقط وراء مشاعر الحزن أو الشوق، بل أصبح قادرًا على مقارنة الماضي بالحاضر بصورة واضحة. وقد أدرك أن الجمال الذي كان يراه مؤلمًا في السابق أصبح الآن شيئًا يشتاق إليه. ويُصنَّف هذا الموقف ضمن بنية الأنا(Ego) ، لأن الأنا يعمل على التوسط بين الدوافع العاطفية الصادرة من الهو (Id) وبين التفكير العقلاني. ففي هذه الحالة، لا يتبع جبران مشاعره فقط، بل يستخدم وعيه وقدرته على التقييم لفهم التحوّل الذي حدث في مشاعره. ولذلك، تعكس هذه العبارة وجود عملية تفكير أكثر واقعية واتزانًا وتحكمًا في الانفعالات.

البيانات ١٢

"وهي التي كانت تملأ صدري بأوجاع التأمل ومرارة التفكير، وتنسج بأصابع الحيرة والالتباس نقابًا من اليأس والقنوط حول قلبي، فلم أذهب إلى البرية إلا عدت منها كئيبًا جاهلًا

أسباب الكآبة. (ص.١٢) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران يدرك بوضوح نمط مشاعره كلما ارتبط بالطبيعة، إذ كان يعود دائمًا إلى حالة من الحزن رغم أنه لا يعرف السبب الحقيقي وراء ذلك. وهذا الإدراك يعكس أنه لا ينجرف فقط وراء الانفعال، بل يقوم أيضًا بمراقبة حالته الداخلية وفهمها. ويعدّ هذا السلوك جزءًا من عمل الأنا(Ego) ، لأن الأنا يختص بالوعي والتقييم وفهم الخبرات بطريقة واقعية. ففي هذه الحالة، يستخدم جبران وعيه الذاتي لملاحظة وجود نمط متكرر من الحزن، حتى وإن لم يستطع تحديد أسبابه بدقة. وبذلك، تُظهر هذه العبارة وجود عملية مراقبة ذاتية أكثر عقلانية واتزانًا وتحكمًا في المشاعر.

البيانات ١٣

"هكذا كانت حياتي قبل أن أبلغ الثامنة عشرة، فتلك السنة هي من ماضيَّبمقام القمة من الجبل، لأنها أوقفتني متأملًا تجاه هذا العالم، وأرتني سبل البشر، ومروج ميولهم، وعقبات متاعبهم، وكهوفشرائعهم وتقاليدهم. (ص.١٤)"

تُظهر هذه العبارة أن جبران يعيد النظر في مسار حياته بطريقة أكثر وعيًا وانتظامًا. فهو لا يكتفي بالشعور بالعاطفة، بل يقوم أيضًا بتقييم تجاربه وتنظيمها بشكل متسلسل، حيث يقسّم مرحلة ما قبل سن الثامنة عشرة باعتبارها فترة واضحة ويصفها بأنها قمة الجبل. ويعدّ هذا السلوك جزءًا من عمل الأنا(Ego) ، لأن الأنا يرتبط بالتفكير الواقعي وتقييم الخبرات وفهمها بشكل منطقي. ففي هذه الحالة، يستخدم جبران وعيه الذاتي لملاحظة مسار حياته واستخلاص نتائجه، بدلًا من الانقياد وراء المشاعر وحدها. وبذلك، تعكس هذه العبارة عملية تفكير منظمة وموجهة وعقلانية في فهم الماضي.

البيانات ١٤

"أم هي سكرة الشبيبة التي تجعلنا نتخيّل رسومًا وأشباحًا لا حقيقة لها؟ هل أعمتني الفتوة فتوهمت الأشعة في عيني سلمى، والحلاوة في ثغرها، والرقة في قدها؟ أم هي تلك الأشعة وتلك الحلاوة وتلك الرقة التي فتحت عيني لتريني أفراح الحب وأحزانه؟. (ص.٢٣) "

يمكن ملاحظة في هذه العبارة أن جبران يقوم بتقييم مشاعره بطريقة أكثر عقلانية. فهو يحاول التمييز بين الواقع وبين مشاعره التي قد تكون مبالغًا فيها نتيجة تأثير مرحلة الشباب. وهذا الموقف التأملي والمليء بالتفكير يدل على عمل الأنا.(Ego) ويُصنَّف هذا المقطع غالبًا ضمن الأنا في التحليل النفسي لفرويد، لأنه يظهر وجود تفكير نقدي وتقييم للواقع، حيث يتساءل جبران عمّا إذا كانت تجربته العاطفية مجرد وهم ناتج عن «سكر الشباب» أم أنها حقيقة فعلية. وتُعدّ هذه الأسئلة التأملية دليلًا على وظيفة الأنا في تحقيق التوازن بين الدوافع العاطفية (الهو) وبين التفكير العقلاني. وبالتالي، وعلى الرغم من وجود مشاعر الإعجاب والحب، فإن جوهر هذا المقطع يتمثل في الشك والتأمل الفكري في طبيعة التجربة، مما يجعله أقرب إلى الأنا.

البيانات ١٥

"قالت هذه الكلمات بلهجة غريبة، ثم حوَّلت عينيها ونظرت نحو النافذة، فبقيتُ أنا صامتًا مفكرًا بكلماتها مصورًا لكل مقطع معنى، راسمًا لكل معنى حقيقة. (ص.٣٣) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران يفكر بطريقة واعية وهادئة ومنظمة في فهم الأمور. فهو لا يتفاعل بشكل مباشر مع العاطفة، بل يختار الصمت ثم يفكر في الكلمات، ويحلل المعنى، ويتخيله بطريقة منطقية. ويعكس هذا سلوكًا عقليًا متزنًا ومتحكمًا، يقوم على التفكير الواقعي. لذلك، تُبيّن هذه العبارة أن جبران يستخدم عقله ووعيه لفهم المعنى بعمق قبل اتخاذ أي موقف أو رد فعل.

البيانات ١٦

"وقد وقف بيننا الحب واليأس شبحين هائلين؛ هذا باسط جناحيه فوق رأسينا، وذاك قابض بأظفاره على عنقينا... (ص.٥٩) "

تُجسّد هذه العبارة حالة العلاقة بين جبران وسلمى التي تقع بين قوتين متعارضتين، هما الحب واليأس. فالشخصية لا تعيش الانفعال بشكل تلقائي فقط، بل تدرك أيضًا الصراع الداخلي الذي تمرّ به وتتفكر فيه بوعي. وإن تصوير الحب واليأس كأنهما شبحان

يعكس إدراكًا لوضع غير مثالي ومليء بالضغط النفسي. وهذا يدل على عمل الأنا (Ego)، الذي يسعى إلى فهم المشاعر ومحاولة الموازنة بينها وبين الواقع المؤلم الذي يعيشه.

البيانات ١٧

"وذهب الربيع وتلاه الصيف وجاء الخريف، ومحبتي لسلمى تتدرج من شغف فتى في صباح العمر بامرأة حسناء إلى نوع من تلك العبادة الخرساء التي يشعر بها الصبي اليتيم نحو روح أمه الساكنة في الأبدية... (ص.٦٢)"

جبران لا يعبّر عن حبه بشكل اندفاعي فقط، بل يدرك أيضًا تغيّر مشاعره عبر الزمن. فهو يتأمل كيف تحوّل حبه من شغف الشباب إلى حب أكثر هدوءًا وعمقًا ومعنى. وهذا التحول يعكس عملية تفكير ومعالجة للمشاعر بشكل واعٍ، وليس مجرد اندفاع عاطفي. وبذلك، لا يغرق جبران في العاطفة وحدها، بل يفهم أيضًا تطوّر مشاعره ويتأملها بوعي وإدراك.

البيانات ١٨

"والولع الذي كان يستدرّ الدموع من عيني قد انقلب وَلَهًا يستقطِر الدم من قلبي، وأنّة الحنين التي كانت تملأ ضلوعي أصبحت صلاة عميقة تقدّمها روحي في السكينة أمام السماء مستمدة السعادة لسلمى والغبطة لعبلها... (ص.٦٣) "

جبران لا يختبر الحب والحنين بشكل تلقائي فحسب، بل يقوم أيضًا بمعالجة مشاعره وتحويلها إلى حالة أكثر هدوءًا ومعنى، إذ تتحول إلى دعاء وأمل في سعادة سلمى. وهذا يدل على قدرته على ضبط عواطفه وإعادة توجيهها، بدلًا من تفريغها بشكل مباشر. كما أن تحوّل مشاعر الهو (Id) المحبَطة من السعادة إلى الألم يعكس إدراك جبران للواقع، أي أنه بدأ يتقبل حقيقة أن سلمى أصبحت زوجة لغيره. وفي هذه المرحلة، لم يعد يطالب بامتلاك الحب أو التمسك به، بل بدأ يتعامل مع الواقع كما هو، ويعيد تشكيل مشاعره بما يتناسب معه.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ١٩

"فوقفت وسارت أمامي منحنية الرأس إلى غرفة والدها. وجلست بقرب مضجع الشيخ العليل وسلمنى تتكلف الابتسام وهدوء البال وهو يتكلف الراحة والقوة، وكل منهما شاعر بلوعة الآخر، بضعفه، سامع عضات قلبه... (ص.٦٨) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران وسلمى يحاولان كبح مشاعرهما والظهور بمظهر الهدوء أمام الشخص المريض، رغم أنهما في الداخل يعانيان من ألم نفسي عميق. فهما لا يعبّران عن مشاعرهما بشكل مباشر، بل يسيطران على انفعالاتهما ويتكيّفان مع الموقف الواقعي الذي يواجهانه. وهذا السلوك يعكس عمل الأنا(Ego) ، الذي يسعى إلى تحقيق التوازن بين المشاعر الداخلية ومتطلبات الموقف الاجتماعي.

البيانات ٢٠

"فقلت: إن من لا تلسعه أفاعي الأيام وتنهشه ذئاب الليالي يظل مغرورًا بالأيام والليالي. ولكن اسمعي يا سلمى، اسمعيني جيدًا، أليس أمامنا غير الفراق لننقتي صغارة الناس وشرورهم؟ (ص.٨٧) "

جبران يحاول كبح نفسه والبحث عن مبررات عقلانية لما يمر به. فهو يدرك وجود ضغوط وتهديدات من البيئة الاجتماعية، ثم يفكر في فكرة الانفصال باعتبارها الحل الأكثر واقعية لتجنب الألم والمعاناة. وهذا يدل على وظيفة الأنا (Ego) بوصفه وسيطًا يقيم الواقع بشكل موضوعي ويتخذ القرارات بناءً على الاعتبارات العقلانية، وليس فقط بدافع العاطفة. وبذلك، يقوم الأنا بضبط رغبة الحب (الهو) بحيث تتلاءم مع الظروف الاجتماعية التي لا تدعم استمرار العلاقة بينهما.

البيانات ٢١

"لقد استسلمنا طويلًا إلى أهواء الناس سلمى... حتى الآن ونحن ننقاد إلى العميان ونركع أمام أصنامهم... فهل نبقى خاضعين لديه محدقين بظلمة نفسه حتى يلوكنا القهر وتبتلعنا الأرض؟ (ص.٨٨) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران لا يتحرك بدافع العاطفة فقط، بل يقوم أيضًا بتحليل الواقع الاجتماعي الذي يعيشه وتقييمه بوعي. فهو يدرك أن نفسه وسلمى كانا يعيشان تحت ضغط المجتمع الذي يُشبَّه بـ"العمى" و"الأصنام"، ثم يبدأ في التساؤل عمّا إذا كان ينبغي الاستمرار في الخضوع لهذا الواقع. وهذا يعكس وجود عملية تفكير واعية، حيث لا يتبع جبران مباشرةً دوافع الحب (الهو)، بل يحاول تحديد موقفه من الواقع الاجتماعي القاسي الذي يحيط به. كما أن الأسئلة البلاغية التي يطرحها تعكس محاولة لموازنة الخيارات ومراجعة عواقب الطاعة أو التمرد على المجتمع. وبذلك، يؤدي الأنا (Ego) دور الوسيط الذي يساعد جبران على إدراك الواقع، ونقد القيم الاجتماعية، والتفكير في إمكانية عدم الاستسلام للضغوط المفروضة عليه.

البيانات ٢٢

"إن الشجرة التي تنبت في الكهف لا تعطي ثمرًا، وسلمى كرامة كانت في ظل الحياة فلم تثمر أطفالًا... فسلمى كرامة لم تشعر قط بأنفاس الحنو وملامس الانعطاف... (ص.٩٥) "

جبران يستخدم تشبيه الشجرة التي تنمو في كهف ليصف حالة حياة سلمى. وهذا يدل على أن الشخصية لا تنغمس فقط في مشاعر الحزن، بل تحاول أيضًا فهم واقع حياة سلمى من خلال التفكير والتأويل الرمزي. فهو يرى أن حياة سلمى تفتقر إلى الحب والاهتمام، ويعبر عن ذلك باستخدام المقارنة المجازية لفهم واقعها الذي يتسم بالحرمان العاطفي وعدم وجود الأطفال وضعف الاحتواء العاطفي في حياتها.

البيانات ٢٣

"علمت للمرة الأولى أن الإنسان وإن وُلد حرًّا يظل عبدًا لقساوة الشرائع التي سنها آباؤه وأجداده... (ص.٩٤) "

تُظهر هذه العبارة أن جبران لم يعد يتفاعل مع الحدث بعاطفة مباشرة، بل بدأ يتقبل حقيقة وفاة سلمى ويفسرها على أنها تضحية نبيلة. وهذا يعكس عمل الأنا (Ego) الذي يتكيف مع الواقع الذي لا يمكن تغييره، ثم يمنح له معنى يساعد على تقبّل الألم نفسيًا.

UIN IMAM BONJOL PADANG

وبذلك، يؤدي الأنا وظيفة تهدئة الدوافع العاطفية (الهو) من خلال الفهم والتأمل وقبول الحدث المأساوي بطريقة أكثر اتزانًا.

ت) الأنا الأعلى(Superego)

يُشبه الأنا الأعلى الضمير أو "الحسّ الأخلاقي" الذي يميز بين الخير والشر (الضمير الأخلاقي). ومثل الهو(Id) ، فإن الأنا الأعلى لا يراعي الواقع بشكل مباشر، بل يركز على القيم والمعايير الأخلاقية، ولا يتعامل مع الاعتبارات الواقعية إلا من خلال الحكم الأخلاقي على الدوافع الغريزية، مثل الدوافع الجنسية أو العدوانية الصادرة من الهو. فعلى سبيل المثال، قد يرغب الأنا في تنظيم العلاقة الجنسية بما يتناسب مع متطلبات الحياة المهنية وتجنب المسؤوليات، بينما يسعى الهو إلى إشباع الرغبة الجنسية لأنها مصدر للمتعة. هنا يظهر دور الأنا الأعلى الذي يفرض الحكم الأخلاقي، مثل الشعور بالذنب عند القيام بسلوك يخالف القيم. وكما يتضح من البيانات التي تُظهر أشكال الأنا الأعلى في هذه الدراسة، فهي كما يأتي:

البيانات ١

"والسيف الناريّ الذي طرده من الفردوس هو كالسيف الذي أخافني بلمعان حدِّه، وأبعدني كرهًا عن جنة المحبة قبل أن أخالف وصيةً، وقبل أن أذوق طعم ثمار الخير والشر. (ص. ٨) "

يمكن تصنيف هذه العبارة ضمن بنية الأنا الأعلى(Superego) ، لأنها تُظهر وجود دافع أخلاقي وقيم داخلية تقيد رغبات جبران. ففي نظرية التحليل النفسي لفرويد، يعمل الأنا الأعلى كصوت الضمير الذي ينظم السلوك وفقًا للقيم والمعايير والشعور بالصواب والخطأ. وفي هذا المقطع، يشعر جبران بأنه مُبعد عن ''جنة الحب'' قبل أن يقوم بفعل يعدّ مخالفًا أو خاطئًا. كما أن العبارات مثل ''خرق الوصية'' و''ثمار الخير والشر'' تعكس وعيًا أخلاقيًا قويًا، يتمثل في الخوف من الذنب أو الخطأ أو العواقب السلبية للرغبات الداخلية. وهذا يدل على أن جبران لا يتبع مشاعره فقط، بل تُقيده أيضًا

منظومة من القيم الأخلاقية الداخلية، مما يجعل هذا الصراع الداخلي انعكاسًا واضحًا لعمل الأنا الأعلى.

البيانات ٢

"فقمت إذ ذاك من مكاني، ولما أخذت يده مودعًا قلت له: غدًا أزور فارسكرامة قيامًا بوعدي له واحترامًا للتذكارات التي أبقتها صداقته لوالدي. (ص. ١٥) "

لم يقل جبران فقط إنه سيذهب، بل شدّد على أن هذه الزيارة تُعدّ "وفاءً بوعد"و"احترامًا للذكريات". وهذا يدل على أن تصرفه قائم على الشعور بالمسؤولية والتقدير، وليس مجرد رغبة لحظية. وفي نظرية التحليل النفسي، يرتبط الأنا الأعلى (Superego)بالقيم والمعايير الأخلاقية التي توجه سلوك الفرد نحو الصواب وتحمل المسؤولية. لذلك، تعكس هذه العبارة وعيًا أخلاقيًا لدى جبران في الالتزام بالوعد واحترام الذكريات.

البيانات ٣

"عما قريب يا سلمى عما قريب تخرجين من بين ذراعي والدك إلى ذراعي رجل آخر، عما قريب تسير بك سنة الله من هذا المنزل المنفرد إلى ساحة العالم الواسعة، فتصبح هذه الحديقة مشتاقة إلى وطء قدميك ويصير والدك غريبا عنك. (ص. ٣٩)"

تُشير عبارة "ستخرجين من حضن أبيك إلى حضن رجل آخر" إلى إدراك جبران للقواعد الاجتماعية والأخلاقية المتعلقة بدور المرأة بعد الزواج. وعلى الرغم من أن المعنى يحمل حزنًا واضحًا، إلا أنه يحاول تقبّل هذا الواقع باعتباره جزءًا من واجب الحياة. كما أن حديثه عن أن الحديقة وأباها سيشتاقان لسلمى يعكس صراعًا داخليًا بين المشاعر الشخصية والقواعد التي ينبغي الالتزام بها. ومع ذلك، يظل جبران يركّز على قبول "حكم الله" بدلًا من مقاومة الواقع. وهذا يعكس عمل الأنا الأعلى(Superego) ، حيث يكبح الفرد رغباته وانفعالاته لأنه يشعر بضرورة اتباع القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية وما يُعتبر صحيحًا.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٤

"فإن صُرعنا نموت كالشهداء وإن تغلَّبْنا نعشْ كالأبطال ... إن عذاب النفس بثباتها أمام المصاعب والمتاعب لهو أشرف من تقهقرها إلى حيث الأمن والطمأنينة. (ص. ٤٤) "

في هذا المقطع يمكن ملاحظة أن جبران يمتلك رؤية للحياة قائمة على القيم الأخلاقية والمبادئ التي تحدد ما هو صحيح ونبيل. فهو يرى أن مواجهة المعاناة بثبات وقوة تُعدّ موقفًا أفضل من الهروب بحثًا عن الراحة الشخصية. وهذا يدل على أنه لا يتبع فقط رغبة العيش بهدوء أو تجنب الصعوبات، بل يقدّم قيمة الصبر والتضحية باعتبارها معاني سامية وذات أهمية. كما أن تعبير "أكثر نبلاً" يعكس وجود حكم أخلاقي قوي في تفكيره. فهو ينظر إلى المعاناة والنضال بوصفهما جزءًا من عملية تمنح الإنسان معنى وقيمة أعلى. وهذا يشير إلى وجود دافع داخلي لديه يدفعه للتصرف وفق المبادئ والقيم المثالية، حتى لو كان ذلك مصحوبًا بالألم والصعوبة. وبذلك، يحاول جبران كبح رغبته في الراحة لأنه يعتبر أن مواجهة المحن هي الخيار الأصح والأكثر قيمة.

البيانات ٥

"كم يصعب علي الآن أن أدون بالكلام ذكرى تلك الساعات التي كانت تجمعني بسلمى، تلك الساعات العلوية المكتنفة باللذة والألم والفرح والحزن، والأمل واليأس وكل ما يجعل الإنسان إنسانا. (ص. ٧٩) "

UIN IMAM BONJOL PADANG

في هذا المقطع يمكن ملاحظة وجود صراع داخلي عميق في نفس جبران. فهو يصوّر ذكرياته مع سلمى على أنها ليست مجرد لحظات سعادة، بل أيضًا مليئة بالألم واليأس، بحيث تختلط المشاعر المتناقضة وتصبح صعبة التعبير بالكلمات. ويعكس هذا أن التجربة العاطفية مع سلمى كان لها تأثير كبير وعميق في حياته. إذ يحاول جبران فهم هذه المشاعر المتضاربة وتقبّلها، مثل الفرح والحزن، والأمل واليأس في آن واحد. كما أن عبارة "كل ما يجعل الإنسان إنسانًا" تدل على إدراكه أن الحياة بطبيعتها مزيج من مشاعر

مختلفة، وأن الحب لا يقتصر على السعادة فقط، بل يتضمن أيضًا المعاناة. وهذا يعكس نضجًا في وعي جبران، حيث بدأ يفهم الواقع بشكل أكثر عمقًا واتزانًا.

البيانات ٦

وكم مرة فكرت منذ تلك الليلة إلى هذه الساعة بالنواميس النفسية التي جعلت سلمى تختار الموت بدلا من الحياة، وكم مرة وضعت نبالة التضحية بجانب سعادة المتمردين، لأرى أيهما أجل وأجمل، ولكنني للآن لم أفهم سوى حقيقة واحدة، وهي أن الإخلاص يجعل جميع الأعمال حسنة وشريفة. (ص. ٩٤)

في هذا المقطع يمكن ملاحظة وجود صراع داخلي في نفس جبران لفهم اختيارات الحياة، والتضحية، والقيم الأخلاقية. فهو يستمر في التفكير في الأسباب التي جعلت سلمى "تختار الموت بدل الحياة"، ويقارن بين سموّ التضحية وسعادة المتمردين. ويُظهر ذلك أن جبران يحاول البحث عن إجابة حول ما هو الأصح والأجمل والأكثر معنى في الحياة. فهو لا يتبع مشاعره مباشرة، بل يتأمل الأمور بعمق حتى يصل إلى نتيجة مفادها أن الصدق والإخلاص هما ما يمنحان الأفعال قيمتها ومعناها. كما أنه لا يركز فقط على السعادة الشخصية، بل يهتم بمعنى التضحية والسمو والنية الصادقة، محاولًا الحكم على أفعال الإنسان بناءً على القيم الأخلاقية، وليس فقط على أساس المنفعة أو المتعة.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٧

"أما أنا فلا أستطيع أن أدعو سِنِي الصبا سوى عهد آلام خفية خرساء كانت تقطن قلبي وتثور كالعواصف في جوانبه. (ص.١١)"

تُظهر هذه العبارة أن جبران ينظر إلى مرحلة شبابه باعتبارها فترة من المعاناة الخفية التي لم يصرّح بها للآخرين. ويبرز فيها تركيز واضح على كبح الذات، وعدم التعبير عن الحزن بشكل علني، بل الاحتفاظ به داخليًا. ويُصنَّف هذا السلوك ضمن بنية الأنا الأعلى(Superego) ، لأن الأنا الأعلى يرتبط بالقيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية وضبط النفس. ففي هذه الحالة، يُظهر جبران قدرة على التحكم في مشاعره وعدم إظهار

معاناته بشكل مباشر. وبذلك، يختار كبت مشاعره وفق ما تمليه عليه قيمه الداخلية ورغبته في الحفاظ على السيطرة الذاتية، مما يعكس وجود انضباط أخلاقي وعدم الرغبة في إظهار الضعف أمام الآخرين.

البيانات ٨

"فالمحبة هي الحرية الوحيدة في هذا العالم؛ لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم، ولا تسوده نواميس الطبيعة وأحكامها. (ص. ٢٤)"

تُظهر هذه العبارة رؤية مثالية وأخلاقية للحب لدى جبران. فهو لم يعد ينظر إلى الحب باعتباره مجرد دافع عاطفي، بل بوصفه قيمة مقدسة قادرة على الارتقاء بالروح الإنسانية إلى مستوى أسمى وأكثر نبلاً. وفي هذا السياق، يتم تقديم الحب كقيمة سامية تتجاوز المصالح الشخصية أو المتعة الفردية. وهذا يعكس هيمنة القيم المثالية داخل شخصية البطل، حيث تصبح المبادئ الأخلاقية والمعاني الروحية هي المسيطرة على نظرته للحياة والعلاقات الإنسانية.

البيانات ٩

"وهكذا قبض القدر على سلمى كرامة، وقادها عبدة ذليلة في موكب النساء الشرقيات التعسات... (ص. ٤٥) "

UIN IMAM BONJOL PADANG

يصف الكاتب سلمى بأنها "مقيدة" ضمن نظام اجتماعي يضغط على المرأة، مما يدل على وعي واضح بالقواعد والعادات والبُنى الاجتماعية غير العادلة. وفي هذا السياق، يظهر ما يمكن تسميته بـ«الأنا الأعلى الجمعي» بوصفه صوتًا للمعايير الاجتماعية السائدة، والذي يجعل الواقع غير العادل يبدو وكأنه أمر طبيعي أو قدر يجب قبوله. وبذلك، تعكس هذه العبارة كيف تؤثر الضغوط الأخلاقية والاجتماعية في تشكيل نظرة الشخصية للأحداث، بحيث يُفهم معاناة سلمى ضمن إطار القيم والقوانين التي يهيمن عليها المجتمع.

البيانات ١٠

"أما الذين سيعيبون سلمى كرامة، محاولين تلويث اسمها، لأنها كانت تترك منزل زوجها الشرعي لتختلِ برجل آخر، فهم السفهاء الضعفاء الذين يحسبون الأصحاء مجرمين وكبار النفوس متمردين... (ص. ٨٢) "

تُظهر هذه العبارة هيمنة الأنا الأعلى(Superego) ، ويتضح ذلك من خلال طريقة حكم الشخصية الأخلاقي الصارم على المجتمع الذي يسيء إلى سلمى. إذ يقوم جبران بتقسيم الناس إلى "ضعفاء وسذج" مقابل "أصحاب النفوس العظيمة"، مما يعكس وجود معيار قيمي يحدد الصواب والخطأ. كما أن دفاعه عن سلمى ضد الاتهامات الاجتماعية يشير إلى وجود صراع مع القيم والأعراف السائدة التي يراها غير عادلة أو خاطئة. وهذا يعكس عمل الأنا الأعلى في صورة قيم أخلاقية قوية وحكم قيمي على سلوك الأفراد داخل المجتمع.

البيانات ١١

"وتجعلني أمُيت عواطفي وميولي لكي تحيا أنت حرّاً نزيهًا، وتظل في مأمن من لوم الناسوتقوُّلاتهم الفاسدة. (ص. ٩٠)"

يحوّل جبران الحب إلى شكل من التضحية بالذات، وهذا يعدّ مظهرا واضحًا من مظاهر ضبط النفس. ويتضح ذلك من موقف الشخصية التي تقبل كبح مشاعرها ورغباتها الشخصية و"إخمادها" من أجل مصلحة من تحب. ويعكس هذا السلوك تحكمًا قويا قائما على القيم الأخلاقية والمسؤولية، وليس على الدوافع العاطفية أو الرغبات الشخصية. فاهتمام جبران ينصبّ على أن تعيش من يحبها "حياة حرة وشريفة"، وأن تُحمى من اللوم الاجتماعي والأحكام السلبية. كما أن التركيز على مفاهيم الشرف والطهارة والحماية من نظرة المجتمع يدل على استبطان قوي للقيم والمعايير الأخلاقية، وهو ما يُعد من السمات الأساسية للأنا الأعلى (Superego) وفق نظرية فرويد. وبذلك، تُظهر هذه العبارة أن الشخصية تُضحّي بمصلحتها الذاتية حفاظًا على القيم والسمعة، مما يجعل الأنا الأعلى هو البنية الأكثر هيمنة في النص.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ج. آليات الدفاع النفسي لدى الشخصية الرئيسية في رواية «الأجنحة المتكسّرة» لخليل جبران

تُعَدُّ آليّاتُ الدِّفاعِ النَّفسيِّ وسيلةً يلجأُ إليها الفردُ لحمايةِ نفسِه من الضغوطِ الباطنيّةِ والصراعاتِ العاطفيّة. وفي روايةِ "الأجنحة المتكثرة" يعاني البطلُ جبرانُ من اضطرابٍ نفسيٍّ نتيجةَ الحبِّ ومرارةِ الواقعِ المؤلم. وقد دفعتْه هذه الحالةُ إلى استخدامِ أشكالٍ متعدّدةٍ من آليّاتِ الدِّفاعِ النفسيِّ للتخفيفِ من القلقِ والمعاناةِ الداخليّة. ومن خلالِ هذه الآليّاتِ يتّضحُ كيفَ حاولَ البطلُ الحفاظَ على توازنِه العاطفيِّ في ظلِّ الصراعاتِ التي عاشها. كما يظهرُ ذلك في البياناتِ التي توصّلَتْ إليها هذه الدراسةُ، وهيَ كما يأتي:

أ) الكبت (Repression)

يعدّ الكبتُ عمليّةً لاشعوريّةً يقومُ فيها الفردُ بِـ«قمع» الأفكارِ أو المشاعرِ أو الذكرياتِ المؤلمةِ والمحرِجةِ أو المهدِّدةِ إلى العقلِ الباطنِ؛ حتى لا يشعرَ بها بصورةٍ مباشرة. ويمكنُ توضيحُ نتائجِ البياناتِ في هذه الدراسةِ على النحوِ الآتي:

البيانات ١

"تلك الأيام مضت كالأشباح واضمحلّت كالضباب، ولم يبقَ لي منها سوى الذكرى الأليمة؛ فالعين التي كنت أرى بها جمال الربيع (ص. ٣٢) "

يُصوِّرُ النصُّ السابقُ جبرانَ وهو يعيشُ شعورًا عميقًا بالفقدانِ والألمِ، لكنَّه يختارُ كبتَ تلك المشاعرِ وإخفاءَها في داخلِه. فلم يُعبِّرْ عن عواطفِه بصورةٍ مُفرطة، بل أفصحَ عنها بكلماتٍ هادئة. وهذا يدلُّ على أنَّ المشاعرَ الحقيقيّةَ القويّةَ لم تُعالَجْ معالجةً كاملة، وإنّما جرى إخفاؤُها حتى لا تبدو شديدةَ الإيلام.

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ٢

"واليوم، وقد مرّت الأعوامُ المظلمةُ طامسةً بأقدامها رسومَ تلك الأيّام، لم يبقَ لي من ذلك الحلم الجميل سوى تذكاراتٍ موجعة. (ص. ٨) "

يُظهرُ هذا القولُ أنَّ جبرانَ لم يَعُدْ قادرًا على تذكُّرِ الذكرياتِ الجميلةِ بصورةٍ كاملة، بل لم يَبقَ في شعورِه سوى الجانبِ المؤلِم منها. فالذكرياتُ السعيدةُ التي كان من المفترضِ أن تمنحَه الراحةَ بدت وكأنّها مكبوتةٌ أو مخفيّةٌ عن الوعي؛ لأنَّ تقبُّلَها أصبح صعبًا بعدَ تجربةِ الفقدان. ولذلك لم يظهرْ في نفسِه سوى الألم. ومن هنا فإنَّ سيطرةَ مشاعرِ الحزنِ واختفاءَ الذكرياتِ السعيدةِ يعدّانِ دليلًا على أنَّ الشخصيةَ تقومُ بكبتِ تجاربِها العاطفيّةِ في العقلِ الباطن.

البيانات ٣

"ولا نظرتُ مساءً إلى الغيومِ المتلوّنةِ بأشعّةِ الشمسِ إلا شعرتُ بانقباضٍ مُتلفٍ ينمو لجهلي معانيَ الانقباض (ص. ١٢) "

يُصوّرُ هذا الاقتباسُ شعورَ جبرانَ بالقلقِ والحزنِ من غيرِ أن يفهمَ مصدرَ تلك المشاعرِ فهمًا واضحًا. وهذا يدلُّ على وجودِ صراعٍ نفسيٍّ غيرِ واعٍ مرَّ به سابقًا ثم كُبِتَ في العقلِ الباطن. غيرَ أنَّ هذه المشاعرَ لم تختفِ تمامًا، بل ظلَّت تظهرُ في صورةِ أعراضٍ نفسيّةٍ، مثل القلقِ والحزنِ اللذين يشعرُ بهما من غيرِ سببٍ واضح.

البيانات ٤

"لا أدري، ولكنني أعلم أنني شعرتُ بعاطفةٍ لم أشعرْ بها قبلَ تلك الساعة، عاطفةٍ جديدةٍ تمايلت حول قلبي بهدوءٍ يشابه رفرفةَ الروحِ على وجهِ القمرِ قبلَ أن تبتدئَ الدهور (ص. ٢٣) "

يُبيّنُ هذا القولُ أنَّ جبرانَ لم يكنْ قادرًا على فهمِ مصدرِ مشاعرِه ومعناها فهمًا واضحًا، بل كان يشعرُ بعاطفةٍ غامضةٍ من غيرِ أن يستطيعَ تفسيرَها. وهذا يدلُّ على

وجودِ صراعٍ نفسيٍّ أو تجربةٍ عاطفيّةٍ قويّةٍ قد كُبِتت في العقلِ الباطن؛ لأنَّ مواجهتَها أو تقبُّلَها كان أمرًا صعبًا عليه. ولذلك فإنَّ حيرةَ الشخصيةِ تجاهَ مشاعرِها تُعَدُّ علامةً على وجودِ عمليّةِ كبتٍ لمشاعرَ لم تُحلَّ بعدُ في داخلِه.

البيانات ٥

"لكن أليس السكوتُ أصعبَ من الكلام؟ وهل يمنعني التهيُّبُ عن إظهارِ خيالٍ من أخيلةِ سلمى بالألفاظِ الواهية إذا كنتُ لا أستطيعُ أن أرسمَ حقيقتَها بخطوطٍ من الذهب؟ (ص. ٢١) "

يُظهرُ هذا النصُّ وجودَ رغبةٍ لدى جبرانَ في التعبيرِ عن مشاعرِه، لكنَّ تلك الرغبةَ كانت مقيَّدةً بالشعورِ بالهيبةِ والتردُّد. وهذا يعني أنَّ هناك مشاعرَ قويّةً في داخلِه، إلا أنّه لا يسمحُ لها بالظهورِ بصورةٍ مباشرة. ففي الكبتِ تميلُ المشاعرُ التي تُعَدُّ صعبةً أو مُؤلمةً أو مُهدِّدةً ـ كالخوفِ من الرفضِ أو عدمِ القبول ـ إلى الاختفاءِ في العقلِ الباطن. ولذلك تبقى الرغبةُ في الإفصاحِ عن المشاعرِ موجودةً، لكنّها لا تجدُ طريقَها إلى التعبيرِ المباشر.

البيانات ٦

"فقلتُ بسرعةٍ وقد نسيتُ ماضي حياتي ونسيتُ كياني ونسيتُ كلَّ شيء، ولم أعدْ أعرفُ سوى سلمى ولا أشعرُ بغيرِ وجودِها. (ص. ٣٦) "

يُبيّنُ هذا القولُ أنَّ جبرانَ كان يُبعِدُ هويّتَه وتجاربَه الماضيةَ أو يكبتُها حتى لا تُؤثّرَ في مشاعرِ الحبِّ التي يعيشُها في تلك اللحظة. وهذا يدلُّ على أنَّ الجوانبَ المرتبطةَ بالخبراتِ المؤلمةِ أو الصراعاتِ النفسيّةِ الماضيةِ قد غابت عن مستوى الوعي، حتى لا تُزعزعَ الحالةَ العاطفيّةَ المسيطرةَ عليه. وفي آليّةِ الكبتِ يقومُ العقلُ ـ بصورةٍ لاشعوريّة ـ بإخفاءِ التجاربِ أو المشاعرِ التي تُهدِّدُ التوازنَ النفسي.

البيانات ٧

"فكنتُ أحملُها في قلبي وأروحُها وأُعيدُها إلى نفسي. (ص. ٥٥) "

يُظهرُ هذا القولُ أنَّ جبرانَ اختارَ أن يَكتمَ مشاعرَه وأفكارَه في داخلِه من غيرِ أن يُفصحَ عنها بصورةٍ مباشرة. فقد كان يُعيدُ تلك المشاعرَ في نفسِه ثم يُرجِعُها إلى أعماقِ روحِه مرّةً أخرى. ويكشفُ هذا السلوكُ عن محاولةٍ لإخفاءِ الانفعالاتِ والصراعاتِ النفسيّةِ حتى لا تظهرَ إلى السطح. وفي آليّةِ الكبتِ يضغطُ الفردُ ـ بصورةٍ لاشعوريّة ـ المشاعرَ والأفكارَ والخبراتِ المؤلمةَ إلى العقلِ الباطن، فتظلُّ مدفونةً في داخلِه.

البيانات ٨

"يصبّرونهما ويؤاسونهما بمستعذباتِ الكلام، أمّا أنا فبقيتُ واقفًا منفردًا وحدي، وليس من يعزّيني على مصيبتي، كأنَّ سلمى وطفلَها لم يكونا أقربَ الناسِ إليَّ (ص.١٠٢) "

يُظهر هذا التصريح أن جبران يختار كبت مشاعره وانفعالاته رغم وجود من يحاول مواساته في موقفٍ مليء بالتعزية. فهو لا يعبّر عمّا يشعر به، بل يلتزم الصمت والعزلة. وهذا السلوك يكشف عن محاولةٍ لكبح الحزن أو الصراع الداخلي كي لا يظهر بصورةٍ مباشرة. وفي آلية الكبت، يقوم الفرد بشكلٍ لاواعي بإيداع المشاعر المؤلمة أو المزعجة داخل ذاته، بحيث لا يتم التعبير عنها بشكلٍ علني.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ب) الإزاحة (Displacement)

تُعَدُّ الإزاحةُ آليةً من آلياتِ الدفاعِ النفسيّ التي يقومُ فيها الفردُ بتحويلِ الانفعالاتِ من مصدرِها الأصليّ إلى موضوعٍ آخرَ أكثرَ أمانًا، وذلك عندما لا يستطيعُ التعبيرَ عن مشاعرِه تجاهَ السببِ الحقيقيّ مباشرةً. وعندئذٍ تُفرَّغُ المشاعرُ في أشخاصٍ أو مواقفَ أخرى لا ترتبطُ بالمصدرِ الأصليّ، بهدفِ تخفيفِ الضغطِ النفسيّ بشكلٍ مؤقّت. وفيما يأتي عرضُ البياناتِ المستخرجةِ من الدراسة:

البيانات ١

"إن الجمال في وجه سلمى لم يكن منطبقًا على المقاييس التي وضعها البشرللجمال، بل كان غريبًا كالحلم أو كالرؤيا أو كفكر علوي لا يقاس ولا يحد ولا يُنْسَخ بريشة المصور، ولا يتجسم برخام الحفار (ص. ٢٦) "

يُظهرُ هذا النصُّ أنَّ جبرانَ لا يعبّرُ عن مشاعرِه بشكلٍ مباشرٍ تجاهَ سلمى، بل يحوّلُ إحساسَه بالإعجابِ والحبِّ إلى صورٍ شعريّةٍ ورمزيّةٍ مثل الحلمِ والرؤيا والنور. وهذا يعدّ شكلًا من أشكالِ الإزاحة؛ إذ يتمُّ نقلُ العاطفةِ من الشعورِ المباشرِ إلى تعبيرٍ مجازيٍّ أكثرَ أمانًا وجماليّة، مما يسمحُ لهُ بالتعبيرِ عن مشاعرِه دون الإفصاحِ عنها صراحةً.

البيانات ٢

"مضت أيام الخريف وعرّت الرياح الأشجار متلاعبة بأوراقها الصفراء مثلما تداعب الأنواء زبد البحر، وجاء الشتاء باكيًا منتحبًا وأنا في بيروت ولا رفيق لي سوى أحلام تتصاعد بنفسي تارة فتبلغها الكواكب، وتنخفضبقلبي طورًا فتلحده بجوف الأرض .(ص. ٦٥) "

في هذا التعبير، يعاني جبران من ضغطٍ نفسيٍّ عميقٍ جدًا، إلا أن هذه المشاعر لا تُعبَّر بشكلٍ مباشر من خلال وصف معاناته، بل يتم تحويلها إلى صورةٍ شعريةٍ، وهي ‘‘قلبي يشعر بثقلٍ كأنه دخل إلى جوف الأرض’’. وتُجسّد هذه العبارة مدى ثِقل العبء العاطفي الذي يشعر به جبران. وبهذه الطريقة يتمكّن من التعبير عن مشاعره دون الإفصاح عن ألمه بشكلٍ علنيٍّ ومباشر.

البيانات ٣

"هل يتعزى كسير القلب بالقلب الكسير؟ إن الحزينة لا تتصبر بحزن جارتها كما أن الحمامة لا تطير بأجنحة مكسورة. (ص. ٤٧) "

يُعاني جبران من ضغطٍ نفسيٍّ عميقٍ جدًا، إلا أن هذه المشاعر لا يتم التعبير عنها بشكلٍ مباشر، بل تُحوَّل عبر تشبيهٍ بالحَمامة التي لا تستطيع الطيران بسبب كسر

جناحيها. ويُجسّد هذا التصوير الحالة النفسية لجبران الذي يشعر بالضعف والتقييد وعدم القدرة على التحرر من المعاناة التي يمرّ بها. كما يتم نقل مشاعر الحزن واليأس داخله إلى صورة طائرٍ مُصاب لا يستطيع التحليق. وبهذه الطريقة يتمكّن جبران من التعبير عن ضغطه النفسي بأسلوبٍ غير مباشر وأكثر رقةً وتهذيبًا.

البيانات ٤

"فلم يُجْدِني كل ذلك نفعًا، بل كنت كمن يحاول إخماد النار بالزيت لأنني لم أكن أرى من مواكب الأجيال سوى أشباحها السوداء (ص. ٧٦) "

في هذا التعبير، يشعر جبران بأن الجهود التي يقوم بها تؤدي إلى تفاقم الوضع بدلًا من تحسينه. إلا أن مشاعر الإحباط واليأس والصراع الداخلي التي يعيشها لا يتم التعبير عنها بشكل مباشر، بل تُنقل من خلال استعارة ‘‘إطفاء النار بالزيت’’. ويُجسّد هذا التصوير أن الأفعال التي يقوم بها تزيد من حدة المعاناة التي يشعر بها بدل تخفيفها. كما يتم تحويل الانفعالات والضغط النفسي لديه إلى صورٍ رمزية تتعلق بالنار والزيت. وبهذه الطريقة يتمكّن جبران من التعبير عن شعور الإحباط والفشل بأسلوب غير مباشر يعتمد على اللغة المجازية

UIN IMAM BONJOL
PADANG

البيانات ٥

"فأخذت يدها وقد تمرّدت روحي في داخلي وتبدّد الدخان عن شعلة فتوتي، فقلت متهيجًا: لقد استسلمنا طويلًا إلى أهواء الناس يا سلمى (ص. ٨٧) "

يعاني جبران من حزنٍ وضغطٍ نفسيٍّ عميقٍ جدًا جعلاه يشعر بأنه مُنهارٌ عاطفيًا. إلا أن مشاعره لا يتم وصفها بشكلٍ مباشر، بل تُنقل عبر عبارة ‘‘تلاشى كالدخان’’. ويُرمز بهذا التعبير إلى حالة النفس التي تبدو هشة، ضائعة، وعديمة القدرة على التماسك بسبب المعاناة التي يمر بها. كما يتم تحويل مشاعر الحزن واليأس داخله إلى

صورة الدخان الذي يختفي سريعًا ولا يملك قوةً أو ثباتًا. وبهذه الطريقة يتمكّن جبران من التعبير عن ضغطه النفسي بأسلوبٍ غير مباشر يعتمد على الصورة البلاغية.

ج) الإسقاط (Proyeksi)

يعدّ الإسقاطُ أحدَ آلياتِ الدفاعِ النفسيّ في نظريةِ التحليلِ النفسيّ عندَ سيغموند فرويد، ويحدثُ عندما يقومُ الفردُ ـ دون وعيٍ ـ بنسبِ أفكارِه أو مشاعرِه أو دوافعِه الداخليةِ إلى الآخرين، فيتصوّرُ أنَّهم هم من يملكون تلك المشاعر. وبهذه الطريقةِ يتجنّبُ الفردُ الشعورَ بالقلقِ أو الذنبِ أو الخجل، لأنه لا يعترفُ بما يختلجُ في داخله. وفيما يأتي عرضُ البياناتِ المستخرجةِ في هذه الدراسة:

البيانات ١

"ولكنني شعرت بأن سلمى كانت تسمع في السكينة مناجاة قلبي المتواصلة، وتشاهد في عيني أشباح نفسي المرتعشة.(ص. ٣٠) "

يمتلك جبران مشاعر قوية من القلق والحب والاضطراب الداخلي تجاه سلمى. إلا أن هذه المشاعر لا تُعبَّر بشكل مباشر، بل يتخيّل أن سلمى تستطيع سماع همسات قلبه ورؤية ظلال روحه المرتعشة. ويُظهر ذلك أن جبران ينقل لا شعوريًا ما بداخله من انفعالات إلى سلمى، وكأنها تدرك ما يدور في أعماقه. وبهذا الشكل يُسقِط مشاعره الداخلية على الآخر دون أن يصرّح بها صراحة. وبالتالي يتمكّن من تفريغ انفعالاته العاطفية بطريقة غير مباشرة.

البيانات ٢

"فكان كلانا يرى في وجه الثاني ما يشعر به قلبه، ويسمع بصوته صدى مخبّآت صدره، فكأن الآلهة قد جعلت كل واحد منا نصفًا للآخر يلتصق به بالطهر فيصير إنسانًا كاملًا، وينفصل عنه فيشعر بنقص موجع في روحه. (ص. ٢٧) "

UIN IMAM BONJOL PADANG

يقوم جبران بنقل أو إسقاط مشاعره الخاصة إلى سلمى، إذ يعتقد أن سلمى تشاركه الإحساس نفسه، بينما هذه المشاعر في الحقيقة نابعة من داخله هو. وفي آلية الإسقاط يميل الفرد إلى ربط عواطفه أو أفكاره أو صراعاته النفسية بالآخرين، حتى تصبح أكثر قابلية للتحمّل والتقبّل. وبذلك لا يعترف جبران بمشاعره بشكل مباشر، بل يتصورها وكأنها موجودة لدى سلمى. وهذا يدل على أنه يمارس الإسقاط كآلية دفاع نفسي لحماية ذاته من الضغط الداخلي.

د) الإنكار(Denial)

يُعرَّفُ الإنكارُ عند سيغموند فرويد بأنَّه آليةُ دفاعٍ نفسيٍّ يقومُ فيها الفردُ برفضِ تقبُّلِ الواقعِ غيرِ المرغوب فيه، أو التعاملِ معه وكأنَّه غيرُ موجود، وذلك لتخفيفِ القلقِ والضغطِ العاطفي. وفيما يأتي عرضُ البياناتِ المستخرجةِ في هذه الدراسة:

البيانات ١

"فهل تفرقنا الأيام؟! وهل يستطيع الزمن أن يفكك عظامنا؟ (ص. ٥٧) "

يحاول جبران رفضَ حقيقة أنَّ الزمن قادرٌ على إحداث الفراق والتغيير وحتى الموت. ويبدو أنه غير مستعد لتقبّل هذه الحقيقة المؤلمة، لذلك يعبّر عنها في صورة أسئلة تعكس موقف الرفض والإنكار. وفي آلية الإنكار ، يميل الفرد إلى رفض الواقع أو عدم تقبّله حتى لا يتعرض لألمٍ نفسيٍّ شديد. وفي هذا السياق، يبدو جبران وكأنه يحاول إقناع نفسه بأن العلاقة أو الوجود لن يتأثر بالزمن. بينما الواقع يؤكد أن الزمن قادر على فصل البشر وتغيير كل شيء. ولذلك فإن هذا التعبير يعدّ شكلًا من أشكال إنكار الحقيقة الصعبة التي يواجهها البطل.

البيانات ٢

"فإن تفرقنا الأيام فإننا نصهرها لونًا كاللون. (ص.٦٠) "

يحاول جبران رفضَ حقيقة أنَّ الفراق قد يحدث وأنه ربما يكون أمرًا لا يمكن تجنّبه. وهو لا يرغب في تقبّل احتمال الخسارة أو انتهاء العلاقة، لذلك يُقنع نفسه بأنهم مهما حدث سيظلون قادرين على الاجتماع من جديد. وفي آلية الإنكار ، يميل الفرد إلى تجاهل الواقع المؤلم أو إنكاره حتى لا يواجه مشاعر الحزن أو الخوف بشكل مباشر. وفي هذا السياق، يُظهر جبران رفضًا لفكرة قوة الزمن والفراق، متمسكًا باعتقاد أن كل شيء يمكن إصلاحه وإعادة توحيده من جديد.

البيانات ٣

"وفي أيام الشبيبة سيكون في الحب مهذّبًا وفي الكهولة عضدًا وفي الشيخوخة مؤنسًا إلى أن تجمعني بك قبضة الله.(ص. ٥٥) "

يواجه جبران في الحقيقة واقعًا مؤلمًا يتمثل في الفراق الدائم نتيجة زواج سلمى من رجل آخر. إلا أنه بدلًا من تقبّل نهاية العلاقة كحقيقة واقعة، يقوم ببناء اعتقاد بأن الحب بينهما سيظل مستمرًا طوال العمر، بل وسيمتد حتى بعد الموت من خلال ‘‘قبضة الله’’ التي ستجمعهما مجددًا. ويُظهر هذا التعبير رفضًا داخليًا لفكرة الفقدان والفراق التي لا يمكن تغييرها. فالشخصية لا تتقبل فعليًا انتهاء العلاقة في الواقع، بل تخلق تصورًا ميتافيزيقيًا وروحيًا يجعل الارتباط العاطفي يبدو خالدًا. وبالتالي يعكس هذا الاقتباس آلية الإنكار، حيث يتمسّك البطل بفكرة مثالية عن وحدة الحب لتجنّب ألم مواجهة الواقع المؤلم.

هـ) التكوين العكسي (Reaction Formation)

يُعرَّفُ التكوينُ العكسيُّ هو آلية دفاع نفسي تحدث عندما يقوم الفرد بكبت مشاعر أو دوافع غير مقبولة، ثم يستبدلها بسلوكٍ معاكسٍ لها بشكلٍ مبالغ فيه. فعلى سبيل المثال، قد يتحول الشعور بالكراهية إلى تصرفات مفرطة في الودّ واللطف. وتظهر هذه الآلية بشكل لاواعي بهدف تقليل القلق أو الصراع الداخلي الذي يسببه ذلك

الشعور غير المقبول. وبذلك يُظهر الشخص سلوكًا يتعارض مع مشاعره الحقيقية. وفيما يلي البيانات التي تم العثور عليها في هذا البحث:

البيانات ١

"فارتعشت نفسي في داخلي، وشعرت نحوه بعاطفةٍ بنويّةٍ عذبةٍ محزنةٍ تتمايل بين أضلعي، وتتتصاعد كاللّهاث إلى شفتي. (ص. ٤١) "

يُمكن تصنيف هذا التعبير ضمن آلية التكوين العكسي لأن شخصية أنا التي تمتلك في الأصل دافعًا عاطفيًا/رومانسيًا تجاه سلمى تعيش صراعًا بين الهو والأنا الأعلى. ولا يمكن قبول هذا الدافع من الناحية الأخلاقية، لأن سلمى زوجة رجل آخر وترتبط بشخصية الأب (فارس كرامة)، مما يسبب قلقًا داخليًا. وللتخفيف من هذا الصراع النفسي، يقوم الأنا بتحويل الدافع الممنوع إلى سلوك معاكس له، وهو مشاعر المودة الأبوية تجاه شخصية الأب (عاطفة بنوية). ويُظهر هذا التحول انتقالًا من الحب الرومانسي إلى عاطفة بنوية تُعد أكثر أمانًا ومقبولة اجتماعيًا. وبالتالي فإن هذا السلوك يُعد مثالًا واضحًا على التكوين العكسي كآلية دفاع نفسي.

UIN IMAM BONJOL PADANG

و) التسامي(Sublimation)

التسامي هو شكل من أشكال التحويل، حيث يقوم الفرد بشكل لا واعٍ بتحويل الدوافع أو الانفعالات غير المقبولة إلى أنشطة إيجابية ومفيدة. فعلى سبيل المثال، يمكن توجيه مشاعر الغضب أو العدوانية من خلال الرياضة أو الفن أو الأعمال الإبداعية. وفيما يلي البيانات التي تم العثور عليها في هذه الدراسة:

البيانات ١

"وهي التي تنسكب الآن مع قطرات الحبر السوداء معلنة للنور أشباح تلك المأساة التي مثَّلها الحب والجمال والموت (ص. ٩) "

في هذا التعبير، يقوم البطل بتوجيه مشاعر قوية وربما مؤلمة (مثل الحزن أو الجرح النفسي أو الصدمة) إلى شكلٍ من أشكال التعبير الإبداعي، وهو الكتابة. وفي آلية التسامي، لا يتم تفريغ الانفعالات الثقيلة بشكل مباشر عبر انفجار عاطفي، بل يتم تحويلها إلى شيء أكثر إنتاجية وقابلية للقبول مثل الفن أو الكتابة. في هذا الاقتباس، تُصوَّر مشاعر جبران وكأنها ''تجري مع الحبر الأسود''، مما يدل على أن الانفعالات يتم تصريفها داخل عملية الكتابة. كما أن ''ظلال المأساة'' لا تُعاش فقط كألم، بل تتحول إلى شيء يمكن ''إظهاره إلى النور''، أي فهمه والتعبير عنه بشكل جمالي. وبالتالي لا يقوم جبران بكبت مشاعره أو تفريغها بشكل مباشر، بل يعيد تشكيلها في صورة عمل أدبي ذي معنى، وهو ما يعكس آلية التسامي.

البيانات ٢

"فأحسست عند ملامسة لأكف بعاطفة غريبة جديدة أشبه شيء بالفكر الشعري عند ابتداء تكوينه في مخيّلة الكاتب.(ص. ٢١) "

يحوِّل جبران تجربةً عاطفيةً بسيطة، وهي لحظة تلامس الأيدي، إلى تجربةٍ أعمق ذات معنى جمالي. ففي آلية التسامي، لا يتم توجيه المشاعر القوية بشكل مباشر، بل تُصاغ في أشكالٍ أكثر رقة مثل الخيال أو التفكير أو التعبير الشعري. في هذا الاقتباس، لا يكتفي جبران بالشعور باللمس الجسدي، بل يفسّره على أنه ''إحساس غريب وجديد'' يشبه ''الفكرة الشعرية'' في مخيلة الكاتب. وهذا يدل على أن العاطفة الشخصية تتحول إلى تجربة إبداعية وفنية. وبذلك لا تُعبَّر المشاعر بشكل مباشر، بل تُعاد صياغتها إلى معنى أجمل وأكثر تأملًا.

البيانات ٣

"سرت مساءً إلى منزل سلمى كرامة، ذلك الهيكل الذي أقامه الجمال وقدسه الحب لتسجد فيه النفس مصلية ويركع القلب خاشعًا (ص.٤٦) "

يمكن تحليلُ هذا الاقتباسِ بوصفِه شكلًا من آليةِ الدفاعِ النفسيّ ‘‘التسامي’’ في إطارِ نظريةِ التحليلِ النفسيّ عند سيغموند فرويد. ويتّضحُ ذلك من خلالِ أنَّ الدوافعَ العاطفيةَ لدى الشخصيةِ تجاهَ سلمى لا تُعبَّرُ بصورةٍ مباشرةٍ على هيئةِ رغبةٍ رومانسيةٍ أو نزعةٍ اندفاعية، بل يتمُّ تحويلُها إلى تجربةٍ ذاتِ طابعٍ روحيٍّ وجماليّ. فلا يُدرَكُ بيتُ سلمى على أنَّه مكانٌ عاديّ، بل يُصوَّرُ مجازيًا على أنَّه ‘‘معبدٌ’’ مُقدَّسٌ بالحبِّ والجمال، في حين تُعبَّرُ مشاعرُ الشخصيةِ من خلالِ رموزٍ دينيةٍ مثل سجودِ الروح و ركوعِ القلب بخشوعز. ويُظهرُ هذا التحوّلُ أنَّ الطاقةَ النفسيةَ الناتجةَ عن دافعِ الحبِّ (الإيروس) لا يتمُّ كبتُها أو رفضُها، بل يُعيدُ الأنا تشكيلَها في صورةٍ أرقى وأكثرَ قبولًا على المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ، أي في شكلِ تبجيلٍ رمزيّ وتقديسٍ روحيٍّ لموضوعِ الحب. وبذلك تنتقلُ تجربةُ الحبِّ من المجالِ البيولوجيّ الانفعاليّ إلى المجالِ الجماليّ–الديني، وهو ما يعكسُ بوضوحٍ عمليةَ التسامي.

البيانات ٤

"إن الدقائق التي جمعتنا هي أعظم من الأجيال، والشعاع الذي أنار نفسينا هو أقوى من الظلام، فإن فرقتنا العاصفة... فالأمواج تجمعنا على ذلك الشاطئ الهادئ، وإن قتلتنا هذه الحياة فذاك الموت يحيينا (ص. ٥١) "

يُظهر هذا الاقتباسُ أنَّ الدوافعَ العاطفيةَ لدى جبران ذاتَ قوةٍ عالية، لكنها لا تُعبَّرُ بصورةٍ مباشرة، بل تُحوَّلُ إلى صياغةٍ لغويةٍ شعريةٍ ذات طابعٍ رمزيّ وجماليّ رفيع. فمشاعرُ الارتباط أو الحب لا تظهر في شكلِ تعبيرٍ صريح، وإنما تتحول إلى استعاراتٍ كونية مثل اللحظات التي تفوقُ عظمةَ الأجيال، والنور الذي يضيءُ الروح، وكذلك صورِ العاصفة والشاطئ الهادئ بوصفها رموزًا للفراق واللقاء. كما أنَّ فكرةَ الموت الذي يتحول إلى "حياة" تعكسُ انتقالًا في المعنى من تجربةٍ وجدانيةٍ مؤلمة إلى تأملٍ روحيٍّ وفلسفي. ويُبيّن

هذا التحولُ أنَّ الطاقةَ النفسيةَ الناتجةَ عن الدوافعِ الوجدانية لا يتم كبتُها، وإنما يُعيدُ الأنا توجيهَها إلى مستوى أعلى من التعبير، بحيث تصبحُ مقبولةً من الناحية الجمالية والرمزية. وبذلك يعكسُ هذا الاقتباسُ آليةَ التسامي، إذ يتمُّ تحويلُ التجربةِ العاطفيةِ الشخصية إلى لغةٍ إنسانيةٍ عامةٍ تتسم بالجمال والمعنى العميق.

البيانات ٥

"رأيت هذه الانقلابات الموجعة في ملامح سلمى رأيتها جميعها، ولكنها لم تكن في نظري إلا كسحابة رقيقة توشح القمر فتزيد منظره حسنًا وهيبة. إن الملامح التي تبيح أسرار الذات المعنوية تكسب الوجه جمالا وملاحة مهما كانت تلك الأسرار موجعة وأليمة (ص. ٤٨) "

يُظهر هذا الاقتباسُ آليةَ الدفاعِ النفسيِّ التسامي. فالتغيّراتُ المؤلمةُ التي ظهرت على سلمى كان من الممكن أن تُثير مشاعرَ سلبية، إلا أنَّ الشخصيةَ لا تستجيبُ لها بصورةٍ مباشرة، بل يتمُّ تحويلُ هذه التجربة إلى صورةٍ جماليةٍ ذات طابعٍ فني، حيثُ يُشبَّه وجهُ سلمى بسحابةٍ رقيقةٍ تُغطّي القمر مما يزيده جمالًا وإشراقًا. وتكشف هذه العمليةُ عن عملِ الأنا في تحويلِ الضغطِ الانفعاليِّ إلى تعبيرٍ شعريٍّ أكثرَ رُقيًّا وقيمة. كما يظهرُ فيها عنصرُ التمثيل المثالي، إذ يتمُّ النظرُ إلى معاناة سلمى بوصفها عنصرًا يُضفي جمالًا على صورتها بدلًا من كونها مصدرَ ألم. وبذلك لا يتمُّ قمعُ الواقعِ المؤلم، بل يُعادُ تشكيلُه نفسيًا ليصبحَ إدراكًا جماليًا يُضفي سموًّا على موضوع الحب.

البيانات ٦

"ومحبتي لسلمى تتدرج من شغف فـتى في صباح العمر بامرأة حسناء إلى نوع من تلك العبادة الخرساء التي يشعر بها الصبي اليتيم نحو روح أمه الساكنة في الأبدية... وأنة الحنين التي كانت تملأ ضلوعي أصبحت صلاة عميقة تقدمها روحي في السكينة أمام السماء (ص.٦٣) "

يُظهر هذا الاقتباسُ آليةَ التسامي، إذ إنَّ الدافعَ العاطفيَّ المتمثّل في الحبِّ، والذي يبدأ في صورته الأولى على هيئة شغف الشاب، لا يتمُّ التعبيرُ عنه بوصفه رغبةً مباشرة، بل يُحوَّل إلى أشكالٍ روحيةٍ مثل العبادة الصامتة والدعاء أمام السماء ولا تُكبتُ الطاقةُ الانفعاليةُ في هذه الحالة، وإنما يعيدُ الأنا تنظيمَها وصياغتَها في شكلٍ دينيّ ذي قيمةٍ ثقافيةٍ أعلى. كما يظهرُ في النصِّ عنصرُ التمثيل المثالي، حيثُ تُقدَّمُ سلمى بوصفها شخصيةً مُقدَّسة، وتُشبَّه بروح الأم في الأبدية وبذلك لا يزولُ دافعُ الحب، بل يتحوّلُ إلى تجربةٍ روحيةٍ وجماليةٍ تُضفي سموًّا على موضوع الحب وتُعلي من قيمته.

البيانات ٧

"أما أنا فكنت ضائعًا بين أحلامي وهواجسي، تتنابني الأيام والليالي مثلما تنتاب النسور والعقبان لحمان الفريسة، فكم حاولت أن أفقد ذاتي بين صفحات الكتب لعلني أستأنس بأخيلة الذين طواهم الدهر (ص.٧٦) "

بعد وفاة والد سلمى، يبحث الأنا" أنا" عن ملاذٍ من خلال الكتب والذكريات. ويعاني هذا الشخص من قلقٍ وضغطٍ نفسيٍّ شديدين نتيجة الفقدان وعدم الاستقرار النفسي. ويتضح ذلك من قوله إنه تائهٌ بين الأحلام والهواجس، ويشعر كأنه يُهاجَم من الزمن كما تُهاجم الفرائس. ومع ذلك، فإن هذه المشاعر لا يتم تفريغها مباشرة في صورة أفعالٍ سلبية أو غضب. بل على العكس، يختار الشخص تحويل مشاعره عبر اللجوء إلى الكتب وعالم الفكر. ويعدّ فعل القراءة هذا شكلاً من أشكال التسامي لأنه يحوّل طاقة الحزن إلى نشاطٍ فكريٍّ أكثر إنتاجية.

ز) التبرير(Rationalization)

يعرَّف التبرير بأنه آلية دفاع نفسي يقوم فيها الفرد بتقديم تفسيرات منطقية أو رمزية لسلوكٍ أو تجربةٍ مؤلمة بهدف تقليل الشعور بالقلق أو الألم العاطفي. وفيما يلي تحليل البيانات:

UIN IMAM BONJOL PADANG

البيانات ١

"أما سلمى كرامة فأدخلتْني إلى جنة الحب والطهر بحلاوتها واستعدادي، ولكن ما أصاب

الإنسان الأوّل قد أصابني، والسيف الناري الذي طرده من الفردوس هو كالسيف الذي أخافني بلمعان حدّه، وأبعدني كرها عن جنة المحبة قبل أن أخالف وصية، وقبل أن أذوق طعم ثمار الخير والشر. (ص. ٨) "

يقدّم هذا الاقتباس تفسيرًا منطقيًا ورمزيًا للمعاناة العاطفية التي يعيشها جبران. ففي هذه الحالة، يشعر بفقدان سلمى التي يشبّهها بـ"جنة الحب". إلا أنه بدلًا من التعبير عن حزنه بشكل مباشر، يربط تجربته بقصة الإنسان الأول آدم عندما أُخرج من الجنة. ويُستخدم هذا التشبيه لإضفاء معنى على الألم، بحيث لا يبدو كحدث غير طبيعي أو فردي. كما يصوّر السيف الناري بوصفه رمزًا لقوةٍ تفصلُه عن السعادة. وبهذا لا تُفهم المعاناة على أنها تجربة شخصية فحسب، بل كجزء من تجربة إنسانية كونية. ويساعد هذا التأطير على تخفيف شدة الألم النفسي الذي يصعب تحمّله مباشرة. إضافة إلى ذلك، يقدّم تبريرًا يجعل الفراق وكأنه حدث خارج عن إرادته.

UIN IMAM BONJOL
PADANG